الجمهـــوريّة الجزائـــريّة الدّيمقراطـــيّة الشّعبيـــّة

وزارة التّعليـــم العـالي والبـحث العلـمي

جامعة ابن خلدون – تيارت–

ملحقة قصر الشّلالة

ميدان الآداب واللّغة العربيّة

مذكرة مقدّمة ضمن متطلّبات نيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصّص: لسانيات الخطاب

الموسومة بـــ:

أثر المناسبة في تماسك النّص القرآني سورة مريم أنموذجاً

من إعداد الطّالبتين:

✓ زيتوني لجين

✓ غيّاط زهرة

إشراف الأستاذ

د/سلطاني بلقاسم

لجنـــــة المناقشـــــــة

الأستاذ(ة)	الرّتبة	الصّفة
أ.د/صوالح نصيرة	أستاذ التّعليم العالي	رئيسا
د/سلطاني بلقاسم	أستاذ محاضر ب	مشرفا ومقرّرا
د/ بن صحراوي بن يحي	أستاذ مساعد ب	المناقش الأوّل
د/ شنّاوي علي	أستاذ محاضر ب	المناقش الثّاني

السنة الجامعيّة :

2022/2021م

1442 /1443 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله أولا و آخرًا فهو سبحانه ولي كل نعمة ومسديها ,نحمده و نشكره كما ينبغي لجلال وجهه و عظيم سلطانه . ونصلي ونسلم على أفضل الشاكرين والحامدين محمد عليه وعلى آله أتم الصلاة والسلام .

في هذا المقام الذي يحمل فيه الشكر أسمى المعاني و أفضلها.

نتقدم بشكرنا و امتنانا إلى الذي وجهنا و ساعدنا ولم يدخر جهدا رغم ضيق و قته وكثرة شواغله الأستاذ **سلطاني بلقاسم**، و نشكر الأستاذة الفاضلة **صوالح نصيرة** التي لم تبخل علينا بنصحها وتوجيهها كما نشكر أساتذتنا الأفاضل على قراءة هذا البحث و مناقشته و تقويمه.

ونشكر كل من ساهم في تحريك عجلة البحث، وجميع أساتذتنا الذين كانوا لنا القدوة دوما،و أخص بالذكر **أساتذة ملحقة قصر الشلالة**

زيتوني لجين

غياط زهرة

إهداء

أسأل الله العظيم أن يتقبل مني هذا العمل المتواضع و ينفع به و أن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

كما أهدي ثمرته إلى من كلله الله بالهيبة و الوقار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار **والدي العزيز.**

الى من كان دعائها سر نجاحي ،الى القلب الطاهر الرقيق الى **أمي الحبيبة**

إلى جميع أفراد العائلة و**إخوتي و أحبتي** .

وإلى جميع معلمي و أساتذتي الأفاضل الذين كانوا قدوة لي وإلى جميع محبي لغة الضاد.

•

لجين

إهداء

إلى هبة الرب للعبد ،إلى منبع الحنان و العطف إلى عيني التي يبصر بهما

إليك أماه .

إليك يا من تعبت لأجلي و يامن شاركت في تقرير مصيري بدعواتك لي

,إليك **أبي الغالي** .

إلي من كان مثالي الأعلى **أخي عبد القادر.**

إلي **الزوج الكريم و أبنائي وإخوتي و أحبتي** الذين كانوا لي خير معين على

إتمام هذا البحث فكانوا كل تسلل العجز واليأس عن مواصلة البحث

وجدتهم الحب والسند الذي يمدني بالقوة والإسرار على المضي قدما .

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع .

زهـــرة

مقدّمة

مقدّمة

الحمد لله الذي يسر القرآن للذكر وجعله حجة ومعتبر متناسب الآيات والسور، ثم الصلاة على خير البشر وأصحابه الغرر، أما بعد:

علم النص هو علم حديث النشأة استقطب نظر العديد من الباحثين، فتسابقوا لتطبيق آلياته على النصوص ووضعوه على محك التجربة,وكان من بين هؤلاء الباحثين الباحثون العرب، الذين كان لهم نصيب من ذلك أيضا، فحينما تلقوا علم النص بمفاهيمه وأدواته الإجرائية لم يكن تلقيهم تلقيا عشوائيا بل كان واعيا بكل أبعاده ،لأنهم أصحاب ميراث لغوي غني بكل أشكال الدراسات والبحوث التي كان النص القرآني هو محورها .

من اجل ذلك وقفنا على جهود علمائنا الأجلاء وخاصة المفسرين وعلماء القرآن في هذا المضمار, فعلمنا أن نظرتهم البحثية التي كان هدفها الأسمى هو الكشف عن إعجاز النظم القرآني ,قد تعمقت فأدت إلى إرساء طرائق منهجية فجرت الطاقات الكامنة فيه, وكان أهمها ما عرف ب:(علم المناسبة), هذا العلم الدقيق النفيس الذي لم يحظ بوافر عناية من الدارسين والباحثين لصعوبته وتطلّبه مهارات فائقة والماما واسعا بعلوم اللغة والتفسير والقراءات ,فضلا عن القدرة على التأمل والتدبر والتحليل وتوظيفها في استخراج خصائص البيان القرآني, وأرسى أنماطا من المفاهيم الاستكشافية التي تساعد على إثراء البحث في الدراسات القرآنية, والتي نقلت مدار البحث البلاغي الإعجازي آنذاك من النظرة الجزئية إلى النظرة الكلية ، باعتبار أن القرآن وحدة لغوية متماسكة في آياته وسوره، وهو ما يؤكد أن ما يعرضه "نحو النص" اليوم من أدوات وآليات تحليلية ليس بدعا على الدرس القرآني وان بذورها وجدت في الدراسات القديمة.

من هنا جاءت فكرة هذا البحث التي انطلقت من ضرورة الكشف عن هذه الآلية التي تفطن إليها هؤلاء منذ مطلع القرن الرابع، حتى نضجت وتهيأت مع نهايات القرن الثامن للهجرة ، وطبقوها على النص الذي أغراهم إعجاز تماسكه وترابطه ألا وهو النص الكريم.

لقد حاولنا التركيز على أهم **دوافع اختيار** هذا الموضوع والتي لخصناها في:

اهتداء القدماء إلى آلية "المناسبة" وتوظيفها لدراسة الترابط في النص القرآني كان دافعا قويا ــ ونحن في عهد الفتوحات اللسانية النصية الغربية ــ للوقوف على جهودهم الرائدة في هذا المجال.

المساهمة في الكشف عن "المناسبة" التي تعد من أهم علوم القران ــ والعديد من الطلاب ليس لهم دراية بها وبحثنا هذا لإفادتهم وتعريفهم بهذا العلم النفيس ــ وذلك لربط القديم بالحديث وتقديم نظرة متكاملة.

ـاختيار سورة "مريم" لأنها من السور المكية والتي يتجسد فيها التناسب بشكل كبير، سواء بين مقاطعها من جهة ، أوبين السورة التي تسبقها "الكهف" والتي تليها "طه" لان ثلاثتهم سور مكية تتحدث عن وحدانية الله واثبات البعث.

ولأنّ الجرأة كانت اكبر دافع للتحدي جاءت الدراسة موسومة ب: **(اثر المناسبة في تماسك النّص القرآني "سورة مريم أنموذجًا")** .

إن الوقوف على ما طرحته الدراسات العربية اللغوية والبلاغية والتفسيرية القديمة في مجال الترابط, وبين ما طرحه علم النص في مجال التماسك أدى بنا إلى بلورة الإشكالية المحورية لبحثنا هذا وهي كالآتي :

❖ **ما مدى تحقيق المناسبة للتماسك النصي في سورة "مريم"؟.**

إذ تفرعت عنها مجموعة من الإشكاليات الثانوية سنصيغها في ما يلي :

- ما مفهوم النص؟ وما مفهوم التماسك النصي؟ وكيف يمكن أن يتحقق على مستوى النص؟ وما هي أدواته؟
- ما مفهوم المناسبة؟ ما هي أنواعها؟ وما علاقتها بالتماسك النصي؟
- ما العلاقة بين "علم المناسبة" و"علم النص"؟ وما مدى توافق ما عرضه "علم المناسبة" من أدوات لتحليل النص الكريم مع ما عرضه علم "النص اليوم" ؟

إذا اتفق "علماء النص" اليوم على أن البلاغة هي السابقة التاريخية لعلم النص فهل يجوز لنا أن نقول بانّ "علم المناسبة" – وان كان علما من علوم القران _ قد سبق "علم النص" في الوصول إلى فكرة التماسك في النصوص؟

تم تحديد **مجالي الدراسة النظري والتطبيقي** فالأول تمثل في البحث عن آلية المناسبة وربطها بالتماسك النصي والكشف عن أهميتها, أما الثاني فقد طبقنا فيه هذه الآلية في سورة "مريم".

لقد فرضت طبيعة الموضوع الاستعانة ب**المنهج** الوصفي التحليلي الذي يمكن من وصف هذه الظاهرة اللغوية ,ووسائلها المختلفة وتحليلها, إذ سمح لنا هذا المنهج بوصف رؤية المفسرين و علماء القرآن لآلية " المناسبة" وكيفية تطبيقها.

قد تم مسار البحث على هدي خطة قسمناها إلى مقدمة، مدخل، ثلاثة فصول ، وخاتمة، أما المقدمة فتناولنا فيها إشكالية الدراسة واهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع، والمنهج الذي اتبعناه وعرضنا فيها الخطة التي سلكناها في بحثنا، بالإضافة إلى الدراسات السابقة واهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها، أما المدخل فيضم مفاهيم لمجموعة من المصطلحات اللسانية كالجملة والخطاب،وكذلك تطرقنا فيه إلى علم التفسير لما له علاقة وطيدة "بعلم المناسبة".

وسم الفصل الأول ب: التماسك النصي دراسة نظرية، وقد ضم مجموعة من المباحث وهي كالآتي: المبحث الأول: النص والتماسك النصي، أما المبحث الثاني الاتساق النصي وآلياته، والثالث عنون بالانسجام النّصي و آلياته.

و الفصل الثّاني فجاء بعنوان: المناسبة وأثرها في تماسك النّص القرآني، وقد تضمّن المباحث الآتية المبحث الأوّل: مفهوم المناسبة ،و الثّاني بأنواع المناسبة وأخيرا أقسام المناسبة .

أما الفصل الثّالث فكان تطبيقيا، موسوما ب: المناسبة القرآنيّة في سورة "مريم" "دراسة تطبيقيّة" ,إذ ضمنّاه ثلاثة مباحث ، المبحث الأوّل : التّعريف بسورة مريم .و الثّاني : المناسبة على مستوى فوق السّورة . وثالثا : المناسبة على مستوى السّورة .

أمّا الخاتمة فقد استثمرنا فيها مجموعة من المعطيات النّظرية والتّطبيقية، وحاولنا استجلاء كل النتّائج الّتي تبدّت لنا .

لم نكن نحن أوّل من تناول هذا الموضوع فقد سبقتنا اليه بعض **الدّراسات** نذكر منها:

. مذكّرة دكتوراه موسومة ب :اثر المناسبة في توجيه المعنى في النّص القرآني، محمّد عامر محمّد ،جامعة الكوفة 1432هـ،2011 م .

مذكّرة ماستر بعنوان: المناسبة وأثرها في انسجام النّص القرآني، عوينان محمّد، جامعة الدّكتور مولاي الطّاهر، سعيدة ، 2015 ، 2016 .

لقد استأنس البحث بعدّة **مصادر ومراجع** مما جادت به قرائح العلماء والباحثين قديما وحديثا،فقد رأينا أن نختار من كل روضة زهرة ، فمن رياض علوم القرآن اخترنا (البرهان في علوم القران لبدر الدّين الزّركشي)، ومن رياض التّفسير، (التّحرير والتّنوير لمحمّد الطّاهر بن عاشور) ، أمّا من رياض النّص فقد اخترنا كتاب (علم اللّغة النّصي بين النّظرية والتّطبيق لإبراهيم الفقي)، إضافة إلى عدد من المعاجم العربية مثل :(لسان العرب لابن منظور) ، ومن المراجع التي تناولت علم المناسبة (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي) .

لان طبيعة الموضوع كانت متشعبة تحتاج إلى بحث مستفيض وجهد متأن يلم أطرافه فان سبل البحث لم تكن سهلة ,لذلك سنحاول أن نجمل أهم **الصعوبات** التي واجهتنا وهي كالآتي :

بما ان الموضوع متعلق بالقران الكريم فكان هذا أصعب أمر واجهناه طيلة مدة بحثنا، وذلك خوفا من الخوض في كتابه عز وجل بمعرفتنا القليلة المتواضعة .

- قلة الأبحاث اللسانية النصية التطبيقية في المكتبة العربية .
- ندرة المصادر والمراجع . على حد علمنا . التي بحثت في علاقة المناسبة بعلم النص أو بالتماسك النصي .
- ندرة الدرس الإجرائي التطبيقي لآلية المناسبة على النص القرآني وبالأخص على سورة "مريم".

لقد شرفنا أن تناولنا في بحثنا هذا اجل النصوص وأكرمها فإننا نرجوا من المولى عز وجل أن يغفر لنا إن كنا قد خضنا في كتابه وخطابه بغير هدى، ولا علم فان الزاد قليل و الجهد يسير.

وفي الأخير نحمد الله على منّه الكريم الذي وفقنا لإتمامه ،كما نشكر جهود أستاذنا الكريم الفاضل "**د.سلطاني بلقاسم** " الذي غمرنا بوافر عناية ورعاية ، وفيض بذل وكريم عطاء وجميل صبر، جزاه الله عنا خير جزاء العاملين المخلصين .

زيتوني لجين

غياط زهرة

في تاريخ : 2022/06/10.

مدخل:
مفاهيم عامة

تمهيد:

لقد شهدت الدراسات اللغوية في أواخر القرن التاسع عشر توسّعا ونضجا ملحوظين، إذ حظيت بنصيب وافر من العناية والاهتمام، واعتبرت الجملة في بداية الدرس اللساني القضية الجوهرية له ومحور الدراسة، ولكن مع تطور الدراسات صرف نظر الدارسين من الجملة إلى مستوى آخر أعلى وهو النص، فتولد لنا علم جديد يهتم بدراسة النصوص وتحليلها ويعرف " بلسانيات النص"، إذ يبحث هذا الأخير في تماسك النصوص والتحام أجزائها وفق منهجية منظمة وآليات مدروسة من بين هذه الآليات معيار يسمى بعلم المناسبة إذ حُصر في دراسة تماسك سور القرآن الكريم، لذلك وقبل أن نسْتَتِبَّ فيه، وجب علينا أن نولج على مفاهيم كوكبة من المصطلحات التي لها علاقة مباشرة معه.

I- علم التفسير:

لاشك في أن علم المناسبة من أهم مباحث علم التفسير، الذي يعد من أجل العلوم وأرقاها إذْ يهتم بدراسة وتوضيح معاني القرآن الكريم، وهو الهدف الأسمى منه، لفهم وتدبر آيات القرآن الكريم والعمل بها، إذْ يقول " البقاعي" في علاقة علم المناسبة بعلم التفسير: " فلذلك كان العلم في غاية النفاسة، وكانت نسْبَته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو"[1]، إذ يعتبر علم المناسبة إحدى اللبنات الأساسية التي يبنى عليها التفسير وقد تعددت تعريفات هذا الأخير لكنها تدور حول معنى واحد.

وفي التعريف اللغوي يعرفه " ابن فارس " على أن: " الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان الشيء وإيضاحه"[2]، أما عند " ابن منظور" صاحب معجم لسان العرب هو الكشف[3]، وعلى العموم هو الايضاح والإبانة، قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾.[4]

II- التفسير اصطلاحا:

أما اصطلاحا يعرف على أنه العلم الذي يهتم بدراسة القرآن الكريم قال الزركشي (ت794هـ):"« التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه»"[5]، وبهذا نفهم أن تفسير القرآن الكريم هو توضيح معانيه وبيان وجوه البلاغة والإعجاز فيه، وشرح ما انطوت عليه آياته، من أسباب نزول وعقائد وحكم وأحكام.

ومن أسماء التفسير التأويل مأخوذ من الأوْل وهو الرجوع، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿اللهمَّ فقِّههُ في الدِّين وعلمه التأويل﴾ أي التفسير.

---

[1] – برهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: محمد عبد الحميد، دار الكتاب الإسلامي، القهرة، ط1، 1969م، ص6.

[2] – أحمد محسن خلف، التفسير اللغوي للقرآن الكريم عند ابن جني، جزء من متطلبات نيل شهادة ماجستير، العراق، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، قسم اللغة العربية، 1436هـ، 2014، ص5.

[3] – ينظر المرجع نفسه، ص ن

[4] – سورة الفرقان، الآية 33.

[5] – أحمد محسن خلف، ، التفسير اللغوي للقرآن الكريم عند ابن جني، ص 5

والتفسير لا يأتي من عدم، بل يستمد من القرآن والسنة وعلم اللغة والنحو والصرف وعلم البيان وكذلك علم أصول الفقه وعلم القراءات القرآنية، إذ يمكن أن يختلف تفسير الآية حسب القراءة، وقد يؤدي اختلاف حركة واحدة بين فتحة وكسرة إلى تفسير مفهوم الآية كقوله تعالى: " واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى" إذ يمكن أن تقرأ الخاء بالفتح أو الكسر، فإن كانت بالكسر (اِتخِّذوا) فهو أمر أي يجب الصلاة في مقام إبراهيم، وإن كانت بالفتح (اَتخَّذوا) أي هم اتخَذوا فهي إخبار عن الماضي وهنا استحباب الصلاة، فترى أن اختلاف القراءتين أدى إلى اختلاف في الحكم، والتفسير يستمد أيضا معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.[1]

III –نشأة علم التفسير:

III–I– تفسير القرآن الكريم:

ارتبط علم التفسير بالضرورة بالقرآن الكريم، فنشأ مع نزوله ،ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا**﴾[2]، ففسّر لفظة هلوعا بما بعدها، وهذا الوصف للإنسان من حيث جِبلته وطبيعته أنه هلوع...فيجزع إن أصابه ابتلاء، فقر، مرض، أو موت حبيب.[3]

III –II تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم :

يفسر ما جاء في الكتاب لأنه واجب عليه لإتمام رسالته، قال تعالى: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.[4]

---

[1] – ينظر المرجع السابق، الصفحة نفسها ، نقلا عن البرهان في علوم القرآن، 13/10

[2] –سورة المعارج، الآيات: 19–20–21.

[3] – ينظر، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 1430هـ–2009م، ص 127.

[4] – سورة النحل، الآية 44.

III-III تفسير الصحابة:

من أعظم التفاسير بعد تفسير النبي صلى الله عليه وسلم هو تفسير الصحابة رضي الله عنهم، إذ كانوا يفسرونه بالرجوع إلى القرآن أو السنة أو كلام العرب، وذلك باجتهاد منهم ومن بينهم الخلفاء الأربعة، وأبو سعيد الخدري، وأبي بن كعب، وأنس بن مالك[1]، قال الطبري(ت31هـ) : «حدثنا محمد بن علي....عن ابن مسعود، قال: كان رجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهم»[2]، وذلك ليبين مدى اهتمامهم وتعلقهم بالقرآن الكريم وأمور الدين، ونقل ذلك لمن هم بعدهم، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿ **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**﴾ .

IV-III -تفسير التابعين والعلماء:

ثم تلقى التابعون هذا العلم عن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، ففسروه على نحو تفسير الصحابة، وألفوا كتب عديدة، ومن أشهر كتب التفسير: تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن »[3] وتفسير القرآن العظيم لعماد الدين عمر بن كثير، إذ تعد هذه الكتب وغيرها من أعظم التفاسير وأجلها وأرفعها قدرا.

[1] – ينظر، أحمد محسن خلف، التفسير اللغوي للقرآن الكريم عند ابن جني، ص11.

[2] – المرجع نفسه، ص 11 .

[3] – ينظر ، المرجع نفسه، ص 12.

❖ مناهج التفسير:

لقد اتبع كل من المفسرين منهج لتبيان القرآن الكريم فلذلك تعددت المناهج[1]، وهي كالآتي:

أولا: منهج التفسير بالمأثور:

وهو تفسير جاء وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة، وآل بيته بحيث ينقل بلا زيادة عليه مبتعدين عن الاستنتاج ، واختلف في كون قول الصحابة والتابعين من التفسير المأثور.[2]

والتفسير بالمأثور أربعة أقسام تقدم ذكرهم في النشأة.

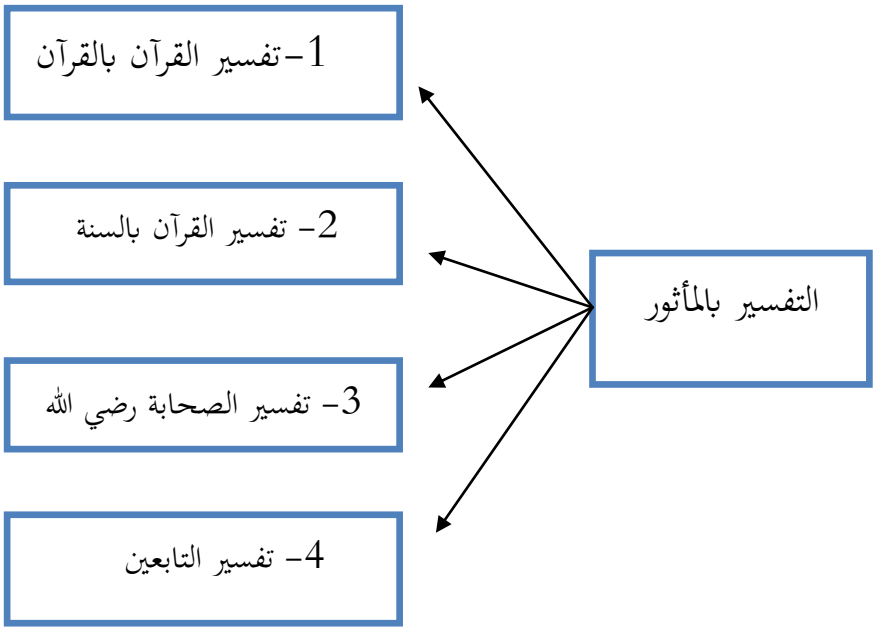

[1] - ينظر ، أحمد محسن خلف، المرجع السابق، ص 14.

[2] - ينظر ، المرجع نفسه، ص15.

ثانيا: منهج التفسير بالرأي:

وهو ما اعتمد فيه المفسر على الاجتهاد والعقل، ولكن شرط أن يكون المفسر عالما باللغة العربية والنحو والصرف وأصول الفقه وغيرها،[1] وهو قسمان:[2]

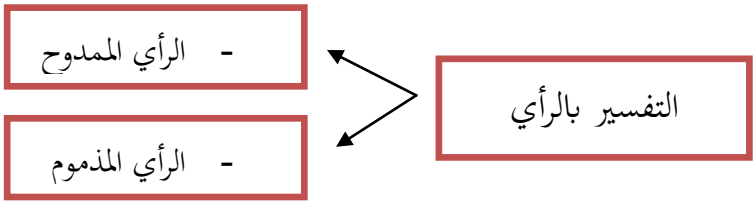

❖ **مصطلحات لسانيات الخطاب:**

في سياق الحديث عن موضوع الدرس اللساني، ظهرت ثلاث مفاهيم محورية، الجملة والنص والخطاب واختلف تعريفها باختلاف النظريات اللسانية[3]، فلكل مناهجه واهتماماته وأسسه فقد حاولت هذه النظريات إلى أن ترقى باللغة العربية وتدرسها على أساس موضوعي علمي بعيدا عن التكلف والصنعة اللفظية، وقد لفت هذا نظر الدارسين العرب، فحاولوا ترجمة هذه النظريات الغربية واسقاطها وتطبيقها على اللغة العربية ، وألفوا في ذلك العديد من الكتب، بدون غضّ النظر عن درسنا العربي القديم وتراثنا اللغوي الغني.[4]

1- مفهوم الجملة:

لقد قصر اهتمام الدارسين اللغويين منذ القديم على الجملة كأعلى مستوى للدراسة، وجعلوا منها موضوعا للبحث، وقد حاولوا إيجاد تعريف لها، فقد تعددت الآراء في تعريفها بسبب المعايير التي استند إليها، منذ عصر أفلاطون (347 ق.م) إلى يومنا هذا ونتج عن ذلك جملة من

[1] - ينظر، المرجع السابق، ص 16 ، نقلا عن التفسير والمفسرون 183/1

[2] - ينظر المرجع نفسه، ص 17.

[3] - ينظر، أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية وتحليل الخطاب، لسانيات النص وتحليل الخطاب، المؤتمر الدولي الأول، بحوث محكمة في لسانيات النص وتحليل الخطاب، الجمعية المغربية للسانيات النص وتحليل الخطاب، جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير المملكة المغربية، دار كنوز المعرفة العلمية، مج1، ج1، ط1، 1434هـ/2013م ، ص 33.

[4] - ينظر، ظافر كاظم عبد الرزاق، الجملة العربية في ضوء الدراسات اللسانية، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، مجلس كلية الآداب، 1432هـ/2011م، ص أ/ب.

التعريفات،[1] إذ أخذ " شرف الدين الراجحي " عن " أرسطو " تعريفا لها بقوله: «أنها تركيب مؤلف من عناصر صوتية تحمل معنى محددا قائما بذاته، ولكن كلا من مكوناته يحمل في الوقت نفسه معنى خاصا به أيضا»[2]،فيرى أنها مجموعة جزئيات تحمل معنى وتندرج تحت معنى عام واحد. وحين نتتبع مصطلح الجملة في تراثنا النحوي نجد أن مفهومها كان يختلط مع مصطلح الكلام، إذ ذكره " سيبويه" (ت180هـ) في (الكتاب) بمعان مختلفة منها الجملة.[3]

وقد انقسم النحاة إلى اتجاهين للفصل بين هذين المصطلحين:

- **فالأول:** يرى أنهما مصطلحان لمعنى واحد فهما مترادفان، إذ ذكر "ابن جني" في "الخصائص" :" أما الكلام فكل لفظ مستقر بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو زيد أخوك و قام محمد"، وقال الزمخشري في " المفصل" : الكلام هو المركب من كلمتين اسندت احداهما إلى الأخرى".[4] فعندهم الكلام والجملة شيء واحد يؤديان معنا مفيدا يحسن السكوت عنه.

-**والقسم الثاني:** يتفق فيه جمهور النحاة أن الجملة والكلام مختلفان، فالجملة يشترط فيها الاسناد سواء كان مقصودا أو غير ذلك أما الكلام يجب أن يكون له معنى مفيد، وبهذا تكون الجملة أعم من الكلام.[5]

وقد تبع " ابن هشام الأنصاري" (ت761) الرضي: وعرّف الكلام برؤية أوضح بأنه:

« القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما حلّ على معنى يحسن السكوت عليه».[6]

وكذلك عرف الجملة على أنها: " عبارة عن الفعل والفاعل...والمبتدأ والخبر وما كان بمنزلة أحدهما، وبهذا يظهر لك أنهما ليسا مترادفان كما يتوهم كثير من الناس وهو ظاهر قول صاحب " المفصل"

---

[1] – ينظر، عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، دار الحامد، عمان، ط1، 2004م، ص 16.

[2] – شرف الدين الراجحي، في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (د.ط)، (د.ت)، ص 115

[3] – ينظر، عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، ص 17.

[4] – فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، سوق البتراء، الحجيري ساحة الجامع الحسيني، ط2، 2007/1427، ص 11، 12.

[5] – ينظر، المرجع نفسه، ص 12.

[6] – ابن هشام الأنصاري، مغنى اللبيب، تح: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ج2 ، ط2، 1997م، ص 5.

إنه بعد أن فرغ من حد الكلام قال: "ويسمى جملة والصواب أنها أعم منها إذ شرطه إلافادة بخلافها"[1] فيظهر أنهما يختلفان في حيث القصد و ذكر كلام مفيد وليس كل جملة مفيدة.

والأمر لا يختلف عند الغربيين، إذ اختلفوا في تعريف الجملة يقول: "دي بوغراند"" De Beau grand": " لقد اعتمدت دراسة التراكيب اللغوية جميعها وعلى وجه التقريب منذ نشأتها في العصور السحيقة على مفهوم الجملة (sentence) دون غيره"[2] إذ يرى أنه من المقلق أن ينشب اختلاف كبير حول تركيب أساسي ، إذ تقوم عليها اللغة – على الجملة — وتتباين تعريفاتها حتى في عصرنا، وأُختلاف في تحديد معاييرها.[3]

وقد ذكر أحد الباحثين المحدثين أن للجملة حاليا ما يزيد عن مائتي تعريف مختلف[4]، لكنها موحدة من حيث تناول موضوعها.

ومع اختلاف تعريفاتها، وتباين مفهومها، إلا أنه أُجمع على كونها هي وحدة الكلام وقاعدته، إذ تشمل على مكونين هما المسند والمسند إليه، وإذا لم تكتف العملية الاسنادية بذاتها يضاف لها عناصر أخرى، وتشترك كل اللغات في أن الجملة نوعان : إسمية وفعلية، وهذا التوحد في بنيتها سهّل عملية دراستها، التي توصّلت إلى مجموعة من القضايا الآتية:

- مفهوم الجملة ومكوناتها وأبعادها.
- تحليلها والوقوف على مركباتها الفعليّة والاسمية والوصفية والظرفية.
- بيان أدوات الربط فيها.
- التّمييز بين الجمل من حيث البساطة والتركيب بوصف بنيتها.
- تحديد مختلف وظائف الجمل من استفهامية وتعجبية وغيرهما.[5]

---

[1] – المرجع السابق، ص 5.

[2] – روبرت دي بوغراند، النص والخطاب والاجراء، تعريب، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1414هـ، 1998م، ص88.

[3] – ينظر ، المرجع نفسه، ص.ن.

[4] – ينظر، محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2008، ص67.

[5] – ينظر، المرجع نفسه، ص 69.

وهكذا ظلّت الجملة إلى منتصف الستينات تعتبر الوحدة الأساسية في علم اللغة وأكبر وحدة يمكن تعيينها ودراستها، إذ نقل كل من " فولجانغ هاينه مان" و "ديتر فيهفيجر" عن " بلوم فليد Bloomfield" تعريفا شكليا إذ يقول: " الجملة شكل لغوي مستقل لا يتضمنه من خلال أي تركيب نحوي شكل لغوي أكبر منه"[1]، إذ يرى أنها ترتكز على الجانب الشكلي وهذا ما يؤكد استقلالية الجملة.

واختلف الدارسون في تحديد أنواع الجملة إذا قسّمها " الأزهر الزناد" إلى نوعين:

الجملة

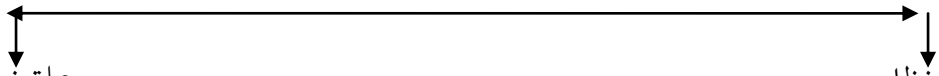

جملة نظام	جملة نصية
System Sentence	Texte Sentence
بنية الجملة وشكلها المجرد	الإنجاز الفعلي للجملة في مقام معين

- إذ نرى أنّ " الزناد" فرق بين القسمين بإضافة عنصر المقام للجملة النصية[2] أو ما يسمى بسياق الحال.
- بقي علم نحو الجملة مهيمنا على الدراسات اللغوية لوقت طويل، وذلك لعدم وجود بدائل، إلى حين طرح " زيلينج هاريس Zelling Harris" بحثا بعنوان " تحليل الخطاب" سنة1952م، إذ تناول فيه العناصر اللغوية داخل النص ودرس الروابط بين النص والسياق الاجتماعي أي مقامه.[3] وهذا البحث مازال يلقى اهتماما كبيرا حتى يومنا هذا، ويعتبر من أهم بوادر هذا الاتجاه الجديد.

[1] – فولفجانغ هاينه مان، ديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم لغة النص، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2004، ص18.

[2] – ينظر، زاوي رحمونة، دور الانسجام في تماسك النص القرآني نماذج من سورة الأعراف، مذكرة ماستر، جامعة عين تيمشنوت، معهد الآداب واللغات، تخصص لسانيات الخطاب، 2019، 2020، ص 3.

[3] – ينظر، صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي، بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السّور المكية، دار قباء، القاهرة، ج1، ط1 ،1431هـ/2000م، ص 23.

2- مفهوم النص:

عندما نقف على مفهوم مصطلح النص نجد أنفسنا أمام كم هائل من التعريفات، فتعريف النص كما ذكر د. "الأزهر الزناد" من أصعب الأمور التي يقف عليها الدارسين " لتعدد معايير هذا التعريف، ومداخله، ومنطلقاته، وتعدد الأشكال والمواقع والغايات التي تتوافر فيما نطلق عليه اسم (النص)".[1]

ومن المعاني والتعريفات المتعددة لمادة (النص)، أورد " الزبيدي " في "تاج العروس" مفهوما لغويا له إذ يقول: " ... والنص: التوقيف ... والنص: التعيين على شيء ما وكل ذلك مجاز من النص بمعنى الرفع والظهور، قلت: ومنه أخذ نص القرآن والحديث، وهو اللفظ الدال على معنى لا يحتمل غيره، وقيل: نص القرآن والسنة: ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام، وكذا نص الفقهاء الذي هو بمعنى الدليل بضرب من المجاز، كما يظهر عند التأمل"[2]، فعنده النص بمعنى البيان والظهور وخاصة في القرآن والحديث إذ لا يحتملان أوجه بل معنى واحد محدد.

والنص عبارة عن وحدة دلالية متماسكة تدل على معنى، إذ يجمع " ديفيد كريستال Dévide Crystal" في تعريفه للنص بين حجمه ونوعه وشكله منطوقا كان أم مكتوبا، ثم يذكر الوظيفة الاتصالية بين المنتِج والمتلقّي، والتي تعتبر أهم وظيفة يقوم عليها النص.[3]

أمّا عند "دي بوغراند" والذي يجمع بين اللغة والمعنى، فيرى أن النص تشكيلة لغوية ذات معنى ، بشرط تحقيق التواصل ومراعاة الفترة الزمنية التي أُنتج فيها النّص، وتختلف عند أنواع النصوص، إذ يرى أن الجملة عبارة عن نص، ويمكن أن نقول على مجموعة من النصوص التي لها علاقة ببعضها أنها نص لأنه يمكن أن تشكل مقالا واحدا،[4] وهذا ما يراه "تودوروف" أيضا، فعنده النص يمكن أن يكون مجرد جملة ويمكن أن يكون كتابا كاملا إذ لا يتحدد بالحجم بل ينتهي النص

---

[1] - المرجع السابق، ص 26.

[2] - خليل بن ياسر البطّاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، عمان، ط1، 1434هـ/2013م، ص60.

[3] - ينظر، صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية ، ص 29-32.

[4] - ينظر، روبرت ديبوغراند وأخرون، مدخل إلى علم لغة النص، مطبعة دار الكتاب، مركز نابلس للكمبيوتر، ط1، 1413هـ/1992م، ص9

حيثما يستوفى المعنى،و يضيف كذلك أن للجملة والنص نفس المقومات في تحليلهما، (صوتية، تركيبيةو دلالية) بالرغم من أنهما ليسا من نفس المستوى.[1]

بين النص والجملة اختلافات اساسية، توضح عدم وصول مقومات بناء الجملة لإنشاء نصوص، ومن هذه الاختلافات في الكتابات الإنشائية مثلا:

- تندرج الجملة تحت خانة النظام الافتراضي (النحو)، أما النص فيتشكل من مجموع قرارات وخيارات إذ يعتبر نظاما واقعيا.
- تبنى الجملة على قواعد وإلا فلا تعتبر جملة، عكس النص الذي لا يخضع لهذه المعايير بهذه الحدة.
- في تحديد نصية النص تستخدم معايير كثيرة من مختلف الأنظمة المعرفية في حين تحدد الجملة بمعيار واحد " علم القواعد " ومن نظام معرفي واحد " علم اللغة ".[2]

وبهذا فالنص إنتاج لغوي مكون من سلسلة جملية، يضبطها مبدآن: مبدأ الاتساق ومبدأ الوحدة الموضوعية، فقد أُعتبر تارة مرادفا لمصطلح الخطاب، وتارة أخرى على أساس أنه سلسلة جملية.[3]

1- مفهوم الخطاب:

لقد تبلور مصطلح الخطاب من خضم القاعدة اللسانية الأولى والتي تستند على دراسات العالم "سوسير"، التي بدورها أثّرت في آراء العديد من النقاد[4]، نذكر منهم:

"إميل بنفيست I.Benvensite" والذي عرف الخطاب بقوله: «هو كل مقول يفترض متكلما ومستمعا، إذ يكون لدى الأول نية التّأثير في الثّاني بصورة ما»[5]، ويرى أنه لا يمكننا أن نطلق عليه

---

[1] – ينظر، عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 2000م، ص 15-16.

[2] – ينظر، روبرت دي بوغراند وأخرون، مدخل إلى علم لغة النص، ص10.

[3] – ينظر، أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية وتحليل الخطاب، لسانيات النص وتحليل الخطاب، مج 1،ج1، ص34.

[4] – ينظر، نوال بومعزة، في إشكالية المصطلح، تحليل الخطاب، السنة الثانية (L.M.D) كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2013/2012، ص 2

[5] – المرجع نفسه، ص 3.

اسم نص أو خطاب إلا من خلال عملية التلفظ، إذ نستنتج أن الخطاب عنده يتخذ شكلان أساسيان هما: " التلفظ enonciation" و " الملفوظ noncé"[1].

أما عند "هاريس Harris" فالخطاب سلسلة جملية ذات معنى، وقد ذكر ذلك في كتابه "تحليل الخطاب"، والذي سعى فيه للانتقال من تحليل الجملة إلى مستوى أعلى وهو تحليل الخطاب، لكنه لم يفلح في ذلك لأنّ دراسته تنطلق من اللّسانيات البنيويّة التوزيعيّة ، التي تعتبر الجملة مركز التحليل والوحدة الأساسية له.[2]

ويشير "باتريك شارود P. charaudeau" إلى أنّ الخطاب يتكون من عنصرين: ملفوظ وموقف تواصلي.[3]

ملفوظ + موقف تواصلي = خطاب

امّا " غريماس J.Griemas" فيرى أن الخطاب مرادف للنص، وكلاهما يشيران إلى عمليات خطابية غير لغوية كالأفلام وغيرها.[4] إذ نرى موقفه عند كثير من النقاد الذين لا يفرقون بين الخطاب والنص ويرونه شيئا واحدا أو وجهان لعملة واحدة، إذ يملكان نفس المعايير والسمات.

وهناك من يُعرّف الخطاب على أنّه: " كل ملفوظ مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات"[5] ، إذ يحيلنا هذا إلى مفهوم النص عند "ديبوغراند"، ففي هذا التّعريف نستنتج ثلاثة أمور":

- عدم الاقتصار على الجملة والتعدي للخطاب لشموليته.
- يعتبر الاستعمال أو التواصل إحدى المعايير الخطابية.
- الحجم غير مهم في تحديد الخطاب، إذ يمكن أن يكون نصا أو جملة أو حتى شبه جملة.[6]

---

[1] – ينظر، المرجع السابق، ص3.

[2] – ينظر، المرجع نفسه، ص 4.

[3] – المرجع نفسه، ص 4.

[4] – ينظر، المرجع نفسه، ص 4.

[5] – ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية وتحليل الخطاب، لسانيات النص وتحليل الخطاب، المؤتمر الدولي الأول، بحوث محكمة في لسانيات النص وتحليل الخطاب، مج1، ج1، ص35.

[6] – ينظر، المرجع نفسه، ص 35.

2- بنية الخطاب:

تختلف الآراء في تحديد بنية الخطاب، ولكن هناك مستويات يتفق عليها الكثير من النقاد، وهي ما يتبناه " هنخفلد و ماكنزي" إذ يريان أن البنية الثابتة للخطاب قائمة على أربع مستويات (تمثيلي، علاقي، مستوى صرفي تركيبي، ومستوى فونولوجي)، ولكل طبقات متباينة متكاملة يعلو بعضها بعضا[1]، وهذا ما سنوضحه في الشكل الآتي[2]:

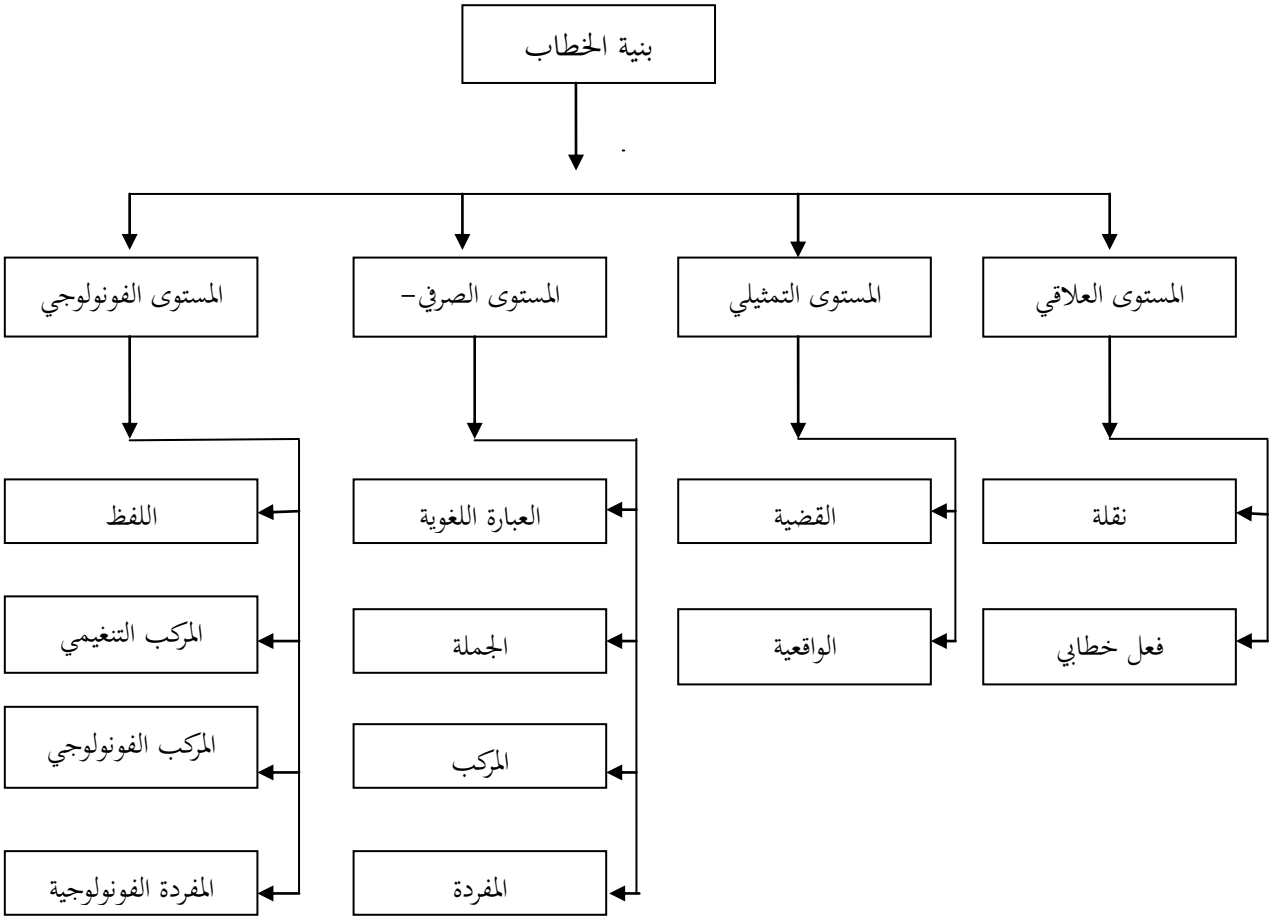

[1] - ينظر، المرجع السابق، ص 42.

[2] - ينظر، المرجع نفسه، ص 42-47

❖ الفرق بين المفاهيم الثلاث: (الجملة، النص، الخطاب)

ومما سبق، نستنتج أن المفاهيم الثلاثة متداخلة فيما بينها، وخاصّة مصطلح النص الذي استعمل في الدّراسات اللّسانية تارة مرادفا للجملة، باعتباره سلسلة جملية مجردة غير مرتبطة بظروف إنتاجها، وتارة أخرى مرادفا للخطاب الذي يرتبط بالضرورة بظروف إنتاجه، وهذا المخطط يوضح الفروق بين المفاهيم الثلاث.[1]

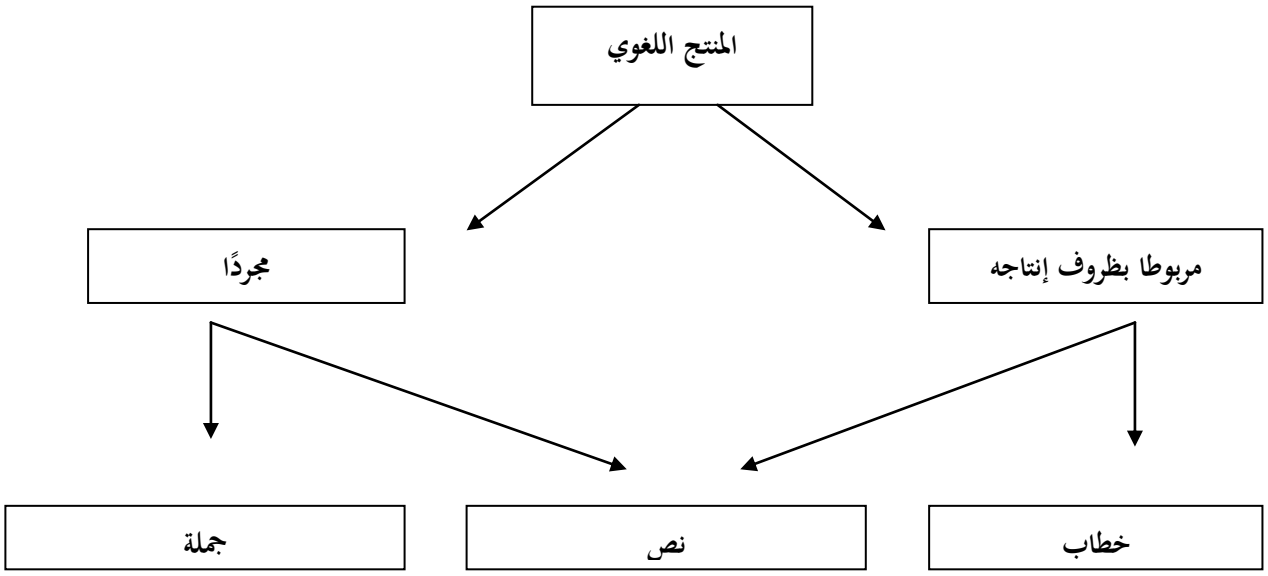

[1] – ينظر، المرجع السابق، ص 34.

الفصل الأول:
التماسك النّصي دراسة نظرية

المبحث الأول: النص والتماسك النصي:

إنّ من أصعب المهام التي يواجهها النقد المعاصر، هي تحديد المصطلحات بدقة، ورسم حدودها المنهجية والإجرائية، حتى تكون أكثر فاعلية عند مواجهتها لموضوعاتها، وبدون تحديد مفهوم "النّص" والبحث في حدوده المنهجية فإن هذا المفهوم يفقد طابعه الاجرائي ويحول إلى مفهوم عائم[1]، وأبرز دليل على هذه الصعوبة هو التعدد الهائل لتعريفات هذا المصطلح.

المطلب الأول: مفهوم النص لغة:

تتعدد التعريفات العربية والغربية التي شرحت مفهوم النص ومدلولاته، ولكن من الضروري البدء بالكشف عن الدلالة اللغوية لكلمة (نص) في اللغة العربية وفقا لما أوردته المعاجم العربية والآراء الغربية، لنلتمس نقاط التشابه والاختلاف.

فقد جاء في معجم (مقاييس اللُّغة لابن فارس): " النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء، منه قولهم نص الحديث إلى فلان: رفعه إليه...و نصصت الرجل: استقصت مسألته عن الشيء حتى تستخرج ما عنده و هو القياس، لأنك تبتغي بلوغ النهاية والنصة: القصة من شعر الرأس"[2].

أما في معجم (لسان العرب لابن منظور) والذي يقول فيه: " النص: رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصًّا: رفعه، وكل ما ظهر فقد نص...ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور."[3]

---

[1] – ينظر، حسين خمري، نظرية النص، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2007م، ص 43.

[2] – ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1979م، مادة (ن.ص.ص)، ج5، ص 357.

[3] – ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ/1990م، مادة (ن.ص.ص)، ج13، ص 97-98.

فقد أورد "ابن منظور" من خلال تعريفه عدة معان للنص:[1]

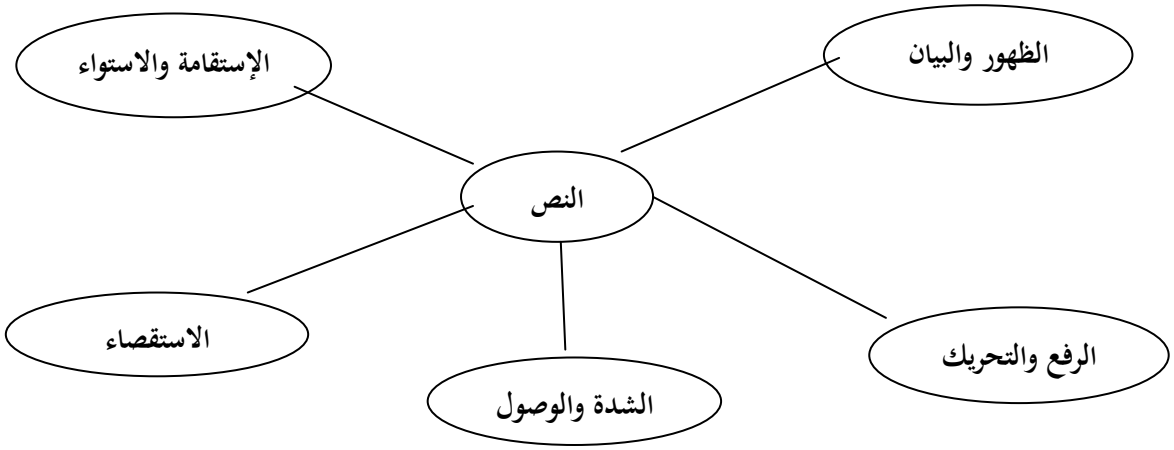

أما من المنظور الغربي فنذكر رأي "هاينه مان" إذ يقول: " من البديهي أن يعلم كل منا بالحدس تقريبا ماذا يمكن أن تعني كلمة نص من اللاتينية Textus، إنها تعني اصلا (النسيج) أو أسياج مضفرة، من الفعل اللاتيني Texter بمعنى نسج أو ضفر وأمثلته: الرسالة، الرواية".[2]

إذ نرى وبوضوح التوافق الدلالي بين معنى النسج أو النسيج في الكلمة وبين مفهوم النص الذي تترابط عناصره وتتآلف، مشكلة نسيجا محكما من بدايته إلى نهايته.

المطلب الثاني: مفهوم النص

1- اصطلاحا:

قبل التعريف بهذا المصطلح وجب علينا أن نتطرق إلى تاريخه، فعند العرب القدامى لم تتضمن كتبهم تعريفا مقننا للنص، لكن من خلال كتاباتهم نستنتج أن فهمهم للنص لم يكن بعيدا عما هو متداول اليوم، إذ رأوا أن كلا من القرآن الكريم والسنة النبوية نص، لكنهم لم يتعرضوا لمفهوم النص بالرغم من استعمال هذه اللفظة لديهم وبكثرة.[3]

[1] - ينظر، خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص 18-19.

[2] - فولفجانغ هانيه مان، ديتر فيهيفيجر، مدخل إلى علم لغة النص، ص 4.

[3] - ينظر، خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، ص 21-23.

أما في فرنسا فقد شكل هذا المصطلح –النص– موضوعا للتحديد المفهومي باعتباره من أهم صيغ اشتغال اللغة، وذلك خلال سنوات الستينات، في مجلة (تال كال Tel quel) مع "بارتBarthes، وجاك دريد" وخاصة "جوليا كرستيفا J.Kristiva " التي رسمت حدوده وشكلت مفهومه المعاصر في كتابها "سيميوتيكي" وهذا في إطار السيميائيات ونظرية اللغة.[1]

2 –مفهوم النص في الدراسات الحديثة:

أ– في الدراسات العربية:

لقد عرف العرب النص من حيث المفهوم والشكل والممارسة، إذ يقول" محمد مفتاح": " النص مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة"[2]، فمدونة كلامية تعني أنه ملفوظ ، أي ممارسات خطابية لغوية فهو مِؤلف من الكلام والاستعمال الفعلي له، وليس صورة أو رسما، أما حدث فتعني أنه مرتبط بزمان ومكان معينين.

وفي قوله ذي وظائف متعددة، أي: وظائف تواصلية تفاعلية بين الباث والمتلقي.

أما "الفقي" ففي دراسته للتماسك النصي يتبنى آراء "ديبوغراند Debeaugrand" ، الذي يرى أن النص حدث تواصلي يلزم لكونه نصا، أن تتوافر فيه سبعة شروط، ولا يكون النص نصا إلا إذا تواجدت جميعا، وهي:

1–السّبك cohesion: ويسميه بعضهم بالربط النحوي.

2–الحبك Coherence: وهو التماسك الدلالي وقد سماه "تمام حسان" الالتحام .

3–القصد intentionality: وهو الهدف من ميلاد هذا النص.

4–القبول acceptabilité: ويتعلق بموقف المتلقي.

5–الإعلام informatinity: رهن بعلاقة المتكلم لما يستقبله وتوقُّعه له.

6–المقام (المناسبة) situationality: وهو متعلق بمناسبة النص للموقف والمقام.

7–التّناص intertextuality: وهو تقاطع عدة نصوص بعضها ببعض.[3]

---

[1] – ينظر، حسين خمري، نظرية النص، ص43.

[2] – محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1986، ص120.

[3] – ينظرن صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص 33–34.

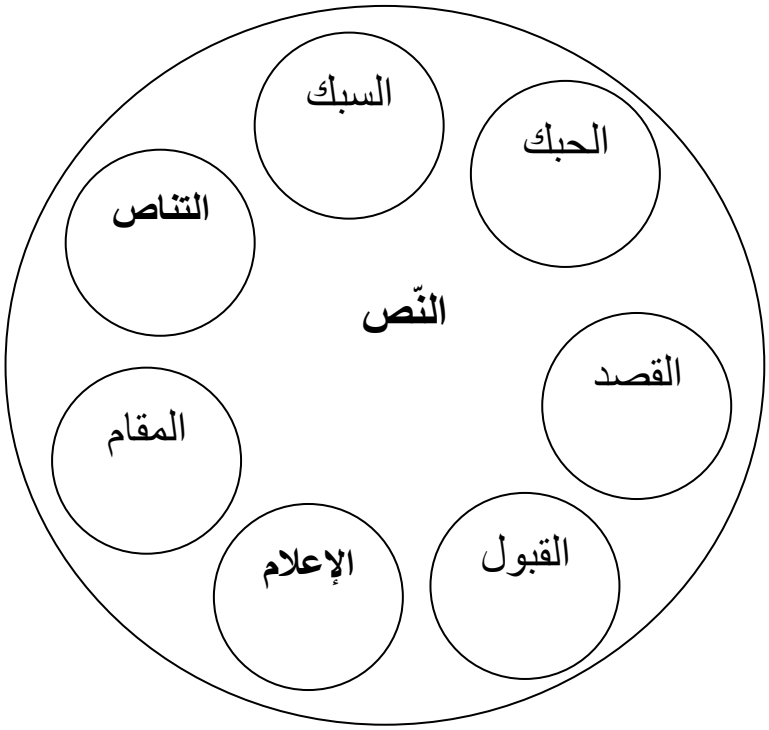

وهذا التعريف الذي تبناه "الفقي" تعريف شامل، لأنه لا يستبعد أيّ طرف من أطراف الحدث الكلامي في التحليل، فهو يجمع المرسل والمتلقي والسياق وأدوات الربط اللغوية، وهو تحليل ذو رؤية شاملة، حيث كل العناصر النصية حاضرة، ولا يطغى عنصر على حساب عنصر آخر.

ب- في الدراسات الغربية:

قد يكون الاختلاف هو سر الإبداع، وهكذا كان النظر للنّص وتحديد مفهومه من طرف الغربيين، فقد تباينت المنطلقات والأسس، وتعدّدت إثرها الآراء ووجهات النّظر، فمن المنطلقات ما هو لغوي لساني، وما هو تواصلي.

إذ ترى نظريّة النّص إلى "النّص" بوصفه: " وحدة كلامية تامة مستقلة نسبيا يحققها المتكلم بهدف معين وفي إطار ظروف مكانية وزمانية محددة، ويفرق بينها مجرد توال لأي عدد من الجمل".[1]

[1] – زنسيسلاف وأورزنباك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، تعريب: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، (د.ط)، 2003م، ص 53.

وينقل كل من (زنسيسلاف و أورزنباك) في كتابهما (مدخل إلى علم لغة النص) تعريفات لمجموعة من اللّسانيين الفرنسيّين بقولهما:" ينطلق 'هيلمسلاف yelmslev من أن النص هو عملية، إنه تلازم باللغة بوصفها نظاما، نحن نعرف أننا نحتاج إلى أن نميز بين نوعين من التدرُّجات، العمليات والأنظمة".[1] فالنص عندهما عملية تقوم على نظام وهو اللغة.

أما في التعريف الذي ذكراه لـ: "هاريس" فيرى أنّ النّص سلسلة جملية متناهية، أما بالنسبة لـ"غليش Gulich ، فالنص عنده عبارة عن تتابع جملي متماسك متكوّن من وحدات نصيّة دقيقة.[2]

وقد تطورت التعريفات المختلفة للنصوص على أساس أوجه فهمٍ مختلفة للتذماسك النّصي بشرط توافر التّماسك الدّلالي، أي أنْ يُفهم تتابع الجمل على أنه نص مترابط، كما يرى "بيلرت"، إذ يوافقه "إيزنبرغ Isenberg " في كون النص تتابع من الجمل، لكن في نظره يترابط من خلال أدوات التنصيص.[3]

أما " جوليا كريستيفا J.Kristiva" التي أجمع الباحثون على أن تعريفعها للنص كان مميزا فهي ترى أن النص:" كجهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه فالنّص إذًا إنتاجية."[4]

إذ يشير هذا إلى أن:

- علاقة النص باللسان هي علاقة إعادة توزيع، إذ لا يتناول عبر المقولات اللسانية الخالصة إنما بالمقولات المنطقية.
- أنه تداخل نصي، إذ نجد في وعاء نصي معين تداخل وتقاطع مع ألفاظ وعبارات تابعة لنص آخر.[5]

---

[1] – المرجع السابق، ص 54.

[2] – ينظر، المرجع نفسه، ص 54.

[3] – ينظر، المرجع نفسه، ص 54.

[4] – جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997م، ص 21.

[5] – ينظر، المرجع نفسه، ص 21.

إذ يظهر جليا أنها تنطلق في تحديد مفهوم النص من مفهوم "التناص"، أي ينظر للنص من حيث إنتاجه كنص يتعالق مع نصوص أخرى.

يعلق " صلاح فضل " على تعريف "كريستيفا" قائلا: " إنّ تعريف"كريستيفا" على تشابكه قد ظفر باهتمام خاص، لأنه يطعن في كفاية النظر إلى هذا السطح ويبرز ما في النص من شبكات متعالقة فهي ترى أن النص أكثر من مجرد خطاب أو قول، إذ أنه موضوع لعديد من الممارسات السّيميولوجية التي يعتدّ بها على أساس أنها ظاهرة عبر لغوية، أي أنها مكوّنة بفضل اللّغة ".[1]

فهو بهذا يصرح بأن تعريف"كريستيفا" معقد ومتشابك، وبالرغم من هذا فقد حظي باهتمام كبير من طرف النقاد واللغويين، المهتمين بهذا العلم وذلك لأنه يتغلغل في النص، وينظر له من الداخل وليس نظرة سطحية، إذ ترى أن النص يتعدى مجرد كونه خطابا، فهو يضم ويقوم على العديد من العمليات السيميولوجية، التي تعتبر ظاهرة مكونة بفضل اللغة، وغير قابلة للانحصار.
وكذلك أشار "صلاح فضل" إلى أن تعريف"كريستيفا" يحتوي على مجموعة من المفاهيم التي تستند على النظرية النقدية، مثل التّناص وخلق النصوص، إذ تعتبر أن النص ممارسة دلالية لم تصل إلى مستوى الامتياز إلاّ بفضل علم العلامات.[2]

ونقل "الفقي" تعريف كل من "هاليداي ورقية حسن" بقولهما أن : "كلمة النص تستخدم في علم اللغة للإشارة إلى أي فقرة any passage منطوقة أو مكتوبة spoken or written مهما طالت أو امتدت...والنص هو وحدة اللغة المستعملة وليس محددا بحجمه والنص يرتبط بالجملة بالطريقة التي ترتبط بها الجملة بالعبارة كما أنه يختلف عن الجملة في النوع".[3]

فالنص عنهما يكون إما منطوقا أو مكتوبا، ولا يتحدد بالحجم مهما كان مقداره، ويقوم على الاستعمال أو اللغة المستعملة، ويمتاز عن الجملة من خلال النوع فقط لكنهما متداخلان فيما بينهما، وقد راعيا الجانب التواصلي والتداولي ، وكذلك يريان أن النص وحدة دلالية ذات معنى إذ لا تقوم على الشكل.

---

[1] – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1992م، ص 211-212.
[2] – ينظر، المرجع نفسه، ص 211-212.
[3] – صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص 29.

فالنص يمثل أكبر وحدة شاملة ليس فوقها ما هو أكبر منها، إذ تُبنى على وحدات مختلفة تقع من النّاحية الدّلاليّة على مستوى عامودي إذ يتكوّن هذا المستوى من تصوُّرات مجملة ترتبط بعلاقات التماسك الدلالية المنطقية، أما بالنسبة للمستوى الثاني والذي على شكل أفقي فهو متكون من وحدات نصية ذات نظرة نحوية متشابهة، وهذا يحيلنا إلى أنه لا يمكن تحليل نص وفق نظرية واحدة بل بمجموعة من النظريات وكل واحدة منها تتبنّى مستوى، ويمكن أن تتداخل هذه النظريات فيما بينها.[1]

المطلب الثّالث: التّماسك النّصي:

- **مفهوم التّماسك النّصي:** لقد احتوى علم اللغة النصي العديد من المصطلحات والمفاهيم، كل منها يمثل جانبا مهما لهذا العلم، فهي متكاملة ولا يمكن التخلي على أحد من هذه المصطلحات، إذ تتباين نسبة الأهمية فيما بينهم فقد تتضاءل أو تتزايد، ويمكن أن يمثل إحدى هذه الجوانب اللّبنة الأساسية لعلم اللغة النصي، والحامل الأساسي الذي ترتكز عليه، وهذا ينطبق على أحد أهم المصطلحات، ألا وهو مصطلح التماسك النصي، والذي نحن بصدد دراسته.

- **تعريف التماسك لغة:**

ورد في لسان العرب "لابن منظور" تعريفا له: مسَك بالشّيء وتمسّك به، وأمسكه، وأمسك به وتماسك، وتمسّكتُ بالشيء بمعنى اعتصمتُ. وأمسك عن الكلام بمعنى سكت، ولم يتماسك نفسه، أيْ لم يتمالك نفسه، وأمسكتُ الشّيء: أي حبستُه، والأرض المسيكة هي التي لا يجف فيها الماء لشدة صلابتها، إذ لا يمكن للأرض أن تشربه، ويمكن القول أرض مساك.[2]

وقد جاء في "أساس البلاغة للزمخشري": قوله تعالى: "أمسك عليك زوجك"[3]، ومسك المال وإمساكه بمعنى حبسه، وتماسكت بشيءٍ أي تعلقت به، وأمسكت أن أقع على الدابة وغيرها، وحفر في مسكة من الأرض أي حفر في موقع صلب.[1]

---

[1] – ينظر، سعيد بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1997م، ص119.

[2] – ينظر، ابن منظور ، لسان العرب، مادة (م.س.ك)، ج10، 487-488.

[3] – سورة الأحزاب، الآية 37.

وعلى هذا جاء في سائر المعاجم، فلفظ التماسك فيها يأتي مقابلا للتفكك ويتوجه لدَّلالة على الصلابة والمتانة، والشدة والترابط التام.

- **اصطلاحا:**

أما اصطلاحا فهو مترجم، ولقد وقعت فيه العديد من المشاكل كما هو الحال بالنسبة لكل المصطلحات المترجمة وذلك لعدم الاتفاق على مصطلح واحد جامع لكل المفاهيم التي تخصه، وهذا كما جرت العادة في عملية انتقال المصطلحات العلمية مترجمة إلى العربية، فهناك من ترجمه إلى العربية، وأطلق عليه مصطلح الاتساق كما هو الحال عند " محمد الخطابي"، في حين يترجمه "تمام حسان" إلى "السبك" وتترجمه "إلهام أبو غزالة" و "علي جليل محمد" إلى (التضام)، أما عند "عمرعطاري" فهو الترابط.[2]

وينقل " الفقي" عن " سعد مصلوح" ترجمته بـ "الحبك"، ولكن يبدو غلبة استعمال مصطلح التماسك على cohesion ومصطلح الانسجام على coherence في الدراسات النصية العربية فها هو "الفقي" في ترجمته للمصطلح الأول يشير إلى التماسك الشكلي في حين يترجم المصطلح الثاني ويشير فيه إلى التماسك الدلالي أو المعنوي.[3]

إذ فرّق العلماء (علماء اللغة) بين مصطلحين هما Cohesion وCoherence ، فيعني الأول مجموع العلاقات التي تربط معاني الأقوال في الخطاب فيما بينها، أو معاني الجمل المترابطة في النص، ويجب الاعتماد في هذه الروابط على معرفة المتحدّثين، وبالتالي فمصطلح Coherence الذي ترجمه "سعد مصلوح" بمصطلح " الحبك" –كما نقل عنه "الفقي"- يعني الاستمرار الدلالي الذي يظهر فيه مجموع العلاقات التي تربط بين مختلف المفاهيم المتجلية في النص.[4]

---

[1] – ينظر، جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج2، د.ط، 1341هـ/1922م، مادة (م.س.ك)، ص 386.

[2] – ينظر، ابن عبد الكريم جمعان، إشكالات النص ، دراسة لسانية، النادي الأدبي، الرياض، ط1، 2009م، ص 197.

[3] – ينظر، الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص 95-96.

[4] – ينظر، المرجع نفسه، ص 94

أما مصطلح Cohesion فقد جعله كل من "هاليدي ورقية حسن" محتويا على علاقات الفحوى العام للنص أو المعنى العام لكل طبقات النص، والتي بدورها تفصل بين النصّي واللاّنصّي، إذ تتولّد علاقة متبادلة بين نصّيْن أو أكثر من ناحية المعاني المستقلة الحقيقية، فالتّماسك عندهما يهتم بكيفية بناء النص وتركيبه باعتباره صرحا دلاليا، لا على ماذا يعني هذا النص، ولم يستخدم كليهما مصطلح Coherence ليدل على التماسك الدلالي، في حين استعمله البعض ليدل على الروابط الدلالية، بينما استخدم مصطلح Cohésion ليدل على العلاقات النحوية إذ يتصل بالروابط الشكلية للنص.[1]

إذ نرى أن هذه الفئة استعملت كلا من المصطلحين لكن فرقت بينهما، إذ جعلت مصطلح Cohésion الذي يعني التماسك والذي بدوره يرتبط بالروابط الشكلية، دالا على العلاقات المعجمية.

في حين جعلت مصطلح Cohérence والذي يعني الانسجام مهتما بالعلاقات الدلالية والجانب المعنوي.

ويتبنى "الفقي" موقفا خاصا به، إذ يقرر أنه بدلا من هذا الاختلاف، رأى أن يجمع بين المصطلحين فكلاهما يعنيان معا التماسك النص، ومن ثمة أوجب اختيار أحد المصطلحين للتوحيد بينهما، فوقع اختياره على Cohésion، وقسمه إلى قسمين:

فالأوّل: هو التماسك الشكلي، والذي يهتم بالعلاقات الي تربط النص شكليا .

والثّاني: وهو التماسك الدلالي، إذ يهتم بجانبين فمن ناحية يُستعمل ليُبيّن علاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص، ومن ناحية أخرى يدرس العلاقة بين النّص والسّياقات الخارجيّة.[2]

[1] – ينظر، المرجع السابق، ص 95.

[2] – ينظر، المرجع نفسه، ص 92

فالتّماسك بهذا المفهوم، يعني العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تؤدي للربط بين العناصر الدّاخلية للنّص، وبين النّص والبنية المحيطة به، فالتّماسك النصي ذو طبيعة خطية شكلية من ناحية وذو طبيعة دلالية من ناحية أخرى، وكلا الطّبيعتان تتضافران معًا لتحقيق التّماسك الكلّي للنّص، إذ يعتبر التماسك العامود الفقري للنص والذي يشده، وفيه يميز بين ماهو نص وماهو غير ذلك.

المطلب الرابع: التماسك النصي عن القدامى والمحدثين.

أولا: التماسك النصي في الدراسات التراثية:

إن مسألة التراث اللغوي العربي القديم، لها الفضل في تبلور الدراسات الحديثة، ولو بإشارة خفيفة يُرجع إليها، لإعادة الحياة لهذه الاسهامات، باعتبار أن فيها نظرات لا تقل أهمية وخصوبة عما قدمه وتبناه الغربيون في هذا المجال، وخاصة من ناحية الممارسة النصية والنشاط المرتبط بها، من جميع النواحي، تذوقًا وفهمًا وتحليلاً وتفسيرًا واستعمالًا.[1]

ولدراسة الفكر الإنساني على وجه العموم وفكره اللغوي على وجه الخصوص، وجب إيجاد منهج قوي قويم يدرس من خلاله، وليس هناك أحسن من الربط بين القديم والحديث، لفهم دراسة هذا العلم على أصوله وقد أكّدت القراءة التي أجراها العلماء على تراثنا العربي القديم خاصة الدراسات النحوية والبلاغية وحتى التفسير، أن هناك تحليلات للنصوص تقترب من التحليلات التي تبنتها النظريات الحديثة والمعاصرة للنص.[2]

ويذكر" الفقي" تصريح "لسعد مصلوح" في مقال لمجلة "فصول" تحت عنوان "نحو أجرومية للنص الشعري – دراسة في قصيدة جاهلية"، إذ يقول: " فإننا نؤمن أن البدء من الصفر المنهجي في هذا المقام – مقام الدراسة النصية – يعني إهدار أربعة عشر قرنا من النتاج اللساني المتميز، الذي هو إنجاز قوم من أعلم الناس بفقه العربية، وأسرار تركيبها وذخائر تراثها."[3]

---

[1] – ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006م، ص 95.

[2] – ينظر الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص 83.

[3] – المرجع نفسه، ص 83.

فغضّ النّظر والإغفال عن مجهودات وتعب أربعة عشرا عاما من العمل الجاد المتقن في مجالات اللغة المختلفة وخاصة البلاغة والنحو وغيرها، يعد أمرا بالغ الخطورة، فإهدار أعوام وأعوام غنية بالإنتاجات اللغوية الثرية لا ينتج عنه إلا الخسارة والحسرة، ولا يمكن استغلالها – الإنتاجات اللغوية – إلا بإعادة إحياء الأفكار التراثية القديمة وربطها ومزجها بالدراسات الحديثة لتولد لنا علما متكاملا بالغ الأهمية.

لذلك حاولنا القيام بالبحث في هذا الموروث اللغوي (البلاغي، النقدي، الديني) لجمع بعض المعلومات والاشارات فيه حول فكرة التماسك النصي، فتبين لنا وبدون مُنازع أن اللُّغويّين العرب كانت لهم الأسبقيّة في هذا المجال، وأوّل ممارسة نصية جادّة كانت مع الكتاب المعجز " القرآن الكريم" ، وتمثلت هذه الممارسة في الوقوف على النص في ذاتية النصية بتعبير "بارت" فيصبح النص بذلك خلية حية تتحرك من داخلها مندفعة بقوة لا تُرد لتكسر كل الحواجز بين النصوص."[1]

فقد اعتبر النص على أنه شيء حي، وشبّهه بالخلية في تماسكه من الداخل وفي تجاوزه وعلاقته بالمحيط الخارجي.

كما اهتم القدامى بالشعر والخطبة على وجه الخصوص، حيث تولّد عن هذا الاهتمام جملة من الاستنتاجات التي تندرج تحت خانة الدراسات النصية اللسانية، فنتج عن ذلك فضاءً اصطلاحيًا متنوعا يتعلق أساسا بمفهوم الانسجام " الحبك" – الذي يعتبر أحدى أهم المفاهيم اللسانية التي تناولوها في دراساتهم – فقد عرفوه بقولهم: " الانسجام هو أن يكون الكلام لخلوه من العقادة منحدرا كتحدر الماء المنسجم ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة والقرآن كله كذلك، قال أهل البديع: وإذا قوي الانسجام في النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه".[2]

[1] – ليندة قياس، لسانيات النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1430هـ/2009م، ص 57.

[2] –جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكرالسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ج2، (د.ط/دت)، ص234.

وقد امتزج هذا المصطلح بدلالات أخرى، ارتبطت بمفهومه مثل: الاقتران، الترابط، الملاءمة، المناسبة، الامتزاج، الاتصال، الاتساق والالتحام.[1]

وبما أن ما ذكر في هذه القضية يفوق الحصر فقد اضطرتنا دواعي البحث إلى الاكتفاء بالأعلام في كل مجال.

1-في البلاغة:

أكّد أغلب الباحثين المحدثين أن البلاغة هي: " السابقة التاريخية لعلم النص، إذا نحن أخذنا في الاعتبار توجُّهَهَا العام المتمثّل في وصف النصوص وتحديد وظائفها المتعدّدة... وكذا تتوّجه إلى المستمع أو القارئ لتؤثر فيه وتلك العلاقات ذات خصوصيّة في البحث اللغوي ... فعملية الاتصال تجمع العلاقة بين أطراف الاتصال الأساسية (النص، منتج، متلقي، وكيفيات التفاعل بينها..."[2]

إذ يرى أن البلاغة لها الأسبقية في علم النص فهي تصف لنا ماهية النص، ولتحديد وظائفها وتؤثّر في المتلقي لتبرز مدى تذوقه للنص.

وقد برز وعي حاد لدى البلاغيين القدماء بظواهر نصية تتعلق خصوصا بانسجام الخطاب وتماسكه وتآخذه وارتباط أجزائه بعضها ببعض، إذ نذكر:

- الجرجاني وفكرة التعليق:

شكّل القرآن الكريم محور الدراسات اللغوية عامة والبلاغية خاصة، فقد انكبّ البلاغيون على كشف أسرار نظمه وبيانه وإعجازه، ولعل "الجرجاني (ت471هـ) كان أشهرهم، إذ يعتبر أحد أعمدة البلاغة وجهوده الرائدة في هذا المجال لا تضاهيها جهود.

إن ما يسميه علماء النص اليوم "بالتماسك النصي" تفطن له "الجرجاني" وشرح مفهومه بوعي عجيب وفي بيان مفصل، يقول: " واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر، ويغمض المسلك في توخي المعاني ... أن تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان فيها بأول ... و أن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ها هنا ما يضع بيساره هناك ...

[1] - محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، ط1، 2005م، ص 100.

[2] - صلاح فضل، بلاغة الخطاب، وعلم النص، ص 252.

واعلم أن من الكلام ما أنت تعلم إذا تدبرته، إن لم يحتج واصفه إلى فكر وروية حتى انتظم ... بل ليس إلا أن تكون مجموعة في رأي العين."[1]

إذ يرى أنه لا يمكن أن يستوفى المعنى إلا إذا اتحدت أجزاء الكلام وترابطت وتشاكلت وانتظمت كالبنيان المرصوص، وأنه يوجد من الكلام ما لا يمكن فهمه إلّا إذا انتظم ، وكمن ضمّ ونسق الأشياء ببعضها بغية رؤية هيكل واحد متناسق وليس على هيئة صورة وإنما مجموعة في نظر العين.

إضافة إلى ذلك أورد مصطلح "التضام" Collocation عند حديثه عن أن الكلمة لا تكون مفيدة " إلا بضم كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة ... وقالوا لفظة متمكنة ومقبولة، وفي خلافة قلقلة ونابية ومستكرهة وغرضهم أن يعبروا بالتمكن من حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها..."[2]

فقد رأى أن الكلمة لوحدها لا يمكن أن تحقق غرض الإفادة، إلا إذا كانت مجموعة من الكلمات المترابطة التي تشكل نصا مفهوما وقد فرق بين نوعين من الألفاظ، وهناك ما هو مقبول فهي لفظة متمكنة ويوجد عكسها أي لفظة مستكرهة ومستقبحة والغرض من هذا التفريق هو الخوف من عدم التلاؤم والاتفاق، أَوَ ليس هذا من صميم ما يتكلم عنه هؤلاء اليوم؟.

ولتفرد الرجل في هذا المجال توصل إلى بناء نظرية كاملة، استغرقت مُؤلفيْن كبيرين هما: "دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة" ، وانبنت هذه النظرية التي عرفت باسمه على ركائز بلاغية ونحوية إذ ذكر أنّ:

- النّظم هو التّأليف.
- النظم ليس في اللفظة المفردة.
- النظم هو التعليق.
- النظم هو توخي معاني النحو.

[1] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، ط3، 1413هـ/1992م، ص 93-97

[2] – المرجع السابق، ص 92-93.

- ونكتفي بالركنين الأخيرين مثال عما توصلت إليه عبقريته، إذ يقول: " واعلم انك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يقترضه شك، أن لا نظم في الكلام ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض."[1]

فالنظم عنده هو التعليق وكأن شيئان أو أكثر يتعالقان مع بعضهما ليكونا على هيئة واحدة. وأما توخي معاني النحو فيقول فيه: " اعلم أن ليس النظم أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتُمِل قوانينه، وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها."[2]

فيرى أنه يجب أن يكون الكلام موزونا مقنّنًا منظومًا بقواعد النحو فكما يقال النحو في الكلام كالملح في الطعام، لذلك وجب معرفة أصوله ومناهجه وحفظ قواعده وقوانينه وحسن استعماله، حتى يعدل الكلام ويضبط وينظم بما يقتضيه هذا العلم.

ولإثبات ما يقول يضرب مثلا بتحليل آية قرآنية رأى فيها من روعة البيان ما يكشف عن صور الإعجاز في النص الكريم، بادئا بسؤال ضمني: " وهل يشك إذا فكرت في قوله تعالى: وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين"[3].

ثم يبين ما في الآية من أوجه الإعجاز، إذ يقول: " فتجلى لك منها الإعجاز ... لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة؟... وأن الفضل تناتج بينها وحصل من مجموعها... ثم مقابلة وقيل في الخاتمة بقيل في الفاتحة... وما بين الألفاظ من الاتساق العجيب."[4]

إذ يرجع سبب الإعجاز في نظم الكلم وارتباطه، وحسن تلاقي الأولى بالثانية وغيرهما كما يقول، فحصل الفضل من هيئة المجموعة وتشكل هذه الخلية، فما نلاحظه هنا حديثه عن الارتباط

---

[1] -المرجع السابق ، ص 55.

[2] - المرجع نفسه ، ص 81.

[3] - المرجع نفسه ، ص 94، و سورة هود، الآية 44.

[4] - المرجع نفسه، ص 94.

بين أجزاء الآية وبين أولها وآخرها، فقد نظر لهذا النص على أنه كُلٌ متكامل في بنيته ودلالته، ولم ينظر إليه على أنه تتابعات من الجمل أو أجزاء جمل، وهذا بالضبط ما يدعوا إليه علم النص اليوم.

2- في النقد:

إن التنقيب في ثنايا النقد ليس المراد منه إلا البحث والكشف عن الوسائل التي تتماسك بها القصيدة العربية والكلام العربي عامة في نظر النقاد الأوائل، " علما بأن المعطيات التي قدمها النقد الأدبي تصنف إلى أدبيات وإلى دراسة الوسائل التي تجعل النص منسجما، والملاحظ أنّ الأدبيات متوافرة، أمّا الدراسة فنادرة."[1]

أ- الجاحظ وتلاحم الأجزاء:

فقد جعل الشعر يدل على كون ناطقه إذ يقول: " شعر الرجل قطعة من كلامه، وظنه قطعة من علمه، واختياره قطعة من عقله."[2]

إذ يجب حسن اختيار الألفاظ وصوغها صوغا يطرب الأذن ويجلب السامع والقارئ، ويمدح بقائل الشعر الحسن، إذ يصف من هم كلامهم موزون ويقول: " ووصفوا كلامهم في أشعارهم فجعلوها كبرود العصب وكالحلل والمعاطف والديباج والوشي."[3]

ويستشهد بأبيات لأبو الجماهير جندب بن مدرك الهلالي، إذ يقول:

فإن أَهْلِكُ فقد أبقيتُ بعدي قوافي تُعجب المتمثّلينا.

لذيذات المقاطع محكمات لو أنّ الشّعر يُلبس لارتُدينا.[4]

إذ يشرح هذا البيت معنى الاتزان والنظم في الكلام، ويقتصر كل ما مضى فهو لا يتحسر على موته إذ يرى بأنه ترك إرثا عظيما ألا وهو أبيات ذات ذوق رفيع عذب، محكمة النظم، وشيّة حتى أنه يشبّهُها باللّباس لشدّة إعجاب متذوقيها بها، فلو كان الشعر يلبس لارتدوها.

---

[1] - محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 141

[2] - أبي عثمان عمرو بن الجاحظ ، البيان والتبين،تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ط7، 1418هـ/1998م، ص 77.

[3] - المرجع نفسه، ص 222.

[4] - المرجع نفسه، ص 222.

وهذا ما ينطبق عليه قول الجاحظ عندما شبه كلامهم بالنسيج إذ يرى فيه حسن الديباج، والوشي المَنْمَنَمِ الحسن الألوان.

وقد أورد "الجاحظ" في كتابه "البيان والتبيين" أبياتا شعرية تذمّ المفكّك، فيقول معلقا عليها:

" ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد انشادها إلا ببعض الاستكراه."[1]

إذ يستنكر بعض الألفاظ التي تتنافر، ولا تصب في وعاء واحد فهي مشتتة كتبعثر الخرز ويستشهد ببيت قائلا:

وقَبْرُ حَرب بمكان قَفر وليس قُرب قَبر حربٍ قَبر.[2]

إذ لا يمكن للمرء أن يقرأه بسلاسة إلا واعتراه من التتعتع واللجلجة. ويذكر قولا "لأبي العاص" لبيت أنشده إياه " أبو البيداء الرياحي":

وشعر كبعر الكبش فرق بينه لسان دعي في القريض دخيل.[3]

فقد شبّهه ببعر الكبش لأنه متناثر لا يلتئم، فكذلك هو الحال بالنسبة للألفاظ إذ لا تجري على عادة السلاسة فمنها ما هو متنافر يصعب على اللسان نطقه وعلى العقل قبوله فلا يُتذوق ولا يُفهم، عكس الكلام المنظوم الليّن الخفيف على اللسان .

فيرى أن أجود الكلام والشعر، ما كانت أجزاؤه متشاركة متلائمة، سهلة لينة النطق، وكأنه صب في قالب واحد وأحسن سبكه وصياغته فخلص من شوائب الكلام البغيض، وشبهه في لينه على اللسان بالدهان في جريانه على اللسان.[4]

ومما تقدم من تقييمات الرجل نفهم أن:

- الأجزاء بداية تعني الأبيات المشكلة للقصيدة.
- والأجزاء المشكلة للبيت (الصدر والعجز).
- الأجزاء المشكلة للشطر (الألفاظ).

---

[1] – المرجع السابق، ص 65.

[2] – المرجع نفسه، ص65.

[3] – المرجع نفسه، ص66.

[4] – ينظر، المرجع نفسه، ص67.

- الأجزاء المشكلة للفظ وللحروف هي الأصوات.

وقد اهتم الجاحظ بالعنصرين الأخيرين اللذين يتمثلان في البعد الصوتي ومدى تآلفه أو تنافره مما يعني أن تلاحم الأجزاء يترتب عن تلاؤم الأصوات المشكلة للألفاظ، أي أن التلاحم منظور إليه لا من زاوية التركيب ولا من زاوية الدلالة، وإنما من زاوية الصوت (التأليف الصوتي وتأثيره) وإشارته الصائبة من صميم ما ينادي به علم النص اليوم.

ب- القرطاجني وكيفية التماسك النصي:

لقد كان لمجموعة من النقاد هما مشتركا برغم المدة الزمنية الطويلة التي تفصلهم وهو موضوع التماسك والتناسق والالتحام بين أجزاء النص، وبقيت النظرة إلى هذا الموضوع مجرد رؤية، ولم يهتموا ببلورة أسسه التي تؤدي إلى التلاحم، إلى أن ظهرت جهود "القرطاجني" التي كرسها للبحوث العلمية ومن بينها البحث في الوسائل والعلاقات وكيفيات التماسك النصي، وقد استفاد في بحوثه من عمالقة الفلسفة العرب، أمثال: "ابن سينا، والفارابي" وأضحت أعماله ظاهرة نوعية في النقد البلاغي.[1]

إذ نجد عند "حازم" ما يسمى بتماسك الفصل، فهو من اطلق عليه هذا المصطلح ويقصد به مجموع أربع أبيات تتّحد وتجتمع لتشكل معنى معين يمكن إيصاله للمتلقي، وهو يبحث في قوانين يسمّيها " طرف العلم بأحكام مباني الفصول وتحسين الفصول وتحسين هيئاتها ووصل بعضها ببعض"، إذ يبحث عن القواعد التي تساعد في بناء الفصل وكيفية معرفتها، واستعمالها لوصل الفصول ببعضها. إذ نميز حالتين في هذه القوانين ألا وهما:

الأولى: إذ خص فيها ثلاثة قوانين وهذه الحالة تتعلق بالفصل وما يجب أن يُسلك فيه.

الثانية: أما هذه الحالة فتختص بالخطوات والمراحل والوسائل التي يجب أن تُتّبع لتحقيق الترتيب في الفصول وليصل بعضها ببعض.[2]

[1] - ينظر، محمد الخطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 149.

[2] - ينظر المرجع نفسه، ص150.

فقد قدم نظرة شاملة عن الكيفية التي تسلك في بناء القصيدة ، الفصل على حدى ومجموع الفصول مع بعض، فقد صاغ مجموعة من الاقتراحات، لوضع وصف منهجي لتماسك القصيدة، ولعلنا لا نبالغ إذ قلنا أن القرطاجني يعتبر أول ناقد عربي عرض وصفا مفصلا لكيفية تماسك النص الشعري أو القصيدة، مهتما بها من البداية إلى النهاية بدون غض النظر عن وسطها.[1]

3- اتّجاه البحث في التّفسير وعلوم القرآن:

لأنّ القرآن كان وما زال بؤرة الاهتمام التي انشدّت إليها أنظار علماء الإسلام ودراساتهم، فقد سعوا لاستنباط أصوله وتفسير معانيه، وصولا إلى إظهار إعجازه، إذ كان مناط بحثهم دائما هو الكشف عن كيفية تماسك هذا النص الكريم أي كيف تتآخذ آياته وسوره مشكلة نصا منسجما.

علم التّفسير:

لقد كان لعلماء التفسير صيت كبير في التحليل النصي، فقد حدّدوا للمفسّر شروط فليس موضوع بسيط حتى يأتي أيّا كان ويدرس القرآن، فمن شروطه أن يكون – المفسِّر – مدركا لآيات القرآن الكريم، وعالما بأسباب ومناسبات النّزول، إذ أنهم يتعاملون مع نصٍ كريم من لدن ربِّ العالمين، وقد ظهر التّماسك عندهم على عدة أوجه: بين الحروف، الكلمات، الجمل، السور، وكذلك ما بين أول سورة وخاتمتها، إلى أن وصلوا لآخر علاقة التماسك ألا وهي المناسبة.[2]

هذه الممارسة للمناسبة واستخدامها كآلية للتفسير كانت حاضرة في تفسيرهم دون الإشارة إلى لفظها بصيغة مباشرة وشكل صريح.

إذ نذكر مثالا لأحد عمالقة العلماء المسلمين، ألا وهو "الرازي" والذي يكفيه من الوعي ما نقله عن "الزركشي" في 'البرهان' بقوله أن أكثر المعجزات القرآنية ولطائفه كامنة في الربط والترتيب

[1] – ينظر، المرجع نفسه ، ص 163.

[2] – ينظر، الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص 128.

والتماسك.[1] فهو يشير للمناسبة وينُصُّ على البحث عليها، إذ يقول: " ذكروا في اتصال هذه الآية بما يقابل وجودها."[2] فهي تدل على مناسبة الآية لما قبلها.

ومن الذين استخدموا لفظة المناسبة "ابن عاشور" فلا حاجة لذكر اهتمامه بالمناسبة، إذ كانت الدّافع الأوّل الذي ألّف من أجله كتابه.[3]

إن بحثهم في أنواع المناسبات أثبت ادراكهم التام لارتباط آي القرآن بعضها ببعض.

ـ يتحدث "الطاهر بن عاشور" عن تعالق الحروف والآيات في القرآن، إذ يقول أنه لابد من أن يكون بين الآية وما يلحقها تناسب في الموضوع أو تكون الآية الثانية مكملة أو شارحة لغرض الأولى، أو غير ذلك من أمثلة الكلام وأساليبه التي تؤدي إلى نظمه، إذ يستدل بحروف العطف المفيدة التي يتمثل غرضها في الربط والاتصال.[4]

إذ يذكر "ابن عاشور" تفسيرا في سورة الإسراء في قوله تعالى: " وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلّن علوا كبيرا"،[5] فقد عطفت على جملة الآية التي تقول: " وءاتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألاّ تتخذوا من دوني وكيلا".[6] فجاءت آية وأتينا موسى الكتاب لبني إسرائيل ليهتدوا به بما جاء فيه ثم لحقتها الآية الثانية، فيذكر فيها عز وجل ما يحل بقوم إسرائيل إذ خالفوا هدى التوراة، فيؤكد أن المناسبة ظاهرة هنا.[7]

---

[1] – ينظر، محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعرفة، بيروت، ج1، ط2، .د.ت، ص 36.

[2] – فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، د.ط، ج3، ص 255.

[3] – ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 168.

[4] – ينظر، محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج1، د.ط، 1393هـ، ص 80/79.

[5] – سورة الإسراء، الآية 4.

[6] – سورة الإسراء ، الآية 2.

[7] – ينظر، محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، ص 28.

أ– علوم القرآن:

إن قلنا أن علوم القرآن ترتبط بجهود كل من "الزركشي و السيوطي بالدرجة الأولى فنحن لا نبالغ وإنما حقيقة، فهذين العالمين اللذين أبدعا في التنظير لعلم المناسبات من التعريف بالمناسبة وذكر فوائدها إلى البحث عن جذورها، والتدليل بأقوال من سبقهم، إلى غاية بيان كيفية ترابط السور وآياتها وتماسكها.

فأما "الزركشي" فقد أورد بيانا مفصلا عن علاقة التماسك بين الآيات، وبيانه هذا يضاهي تحليل النصيين اليوم، فيقول: " إن ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح... كالتضاد بين القبض والبسط... وشبه التضاد بين السماء والأرض."[1]

فهنا يبيّن أن الترابط يكون لتوافق الآيتين ومناسبتهما لنفس الغرض، فالثانية متضمنة وشارحة لما قبلها، سواء كانت بالتفسير والتأكيد أو الاعتراض وهذا شيء مفروغ منه فهو ظاهر واضح، أما في الحالة التي لا يكون فيها التناسب ظاهرا، فتكون الجملة الثانية معطوفة على الأولى بأحد حروف العطف رغم استقلاليتهما – الجملتين– فهنا لابد من أن يكون بينهما أحد أوجه الترابط.

أما بالنسبة "للسيوطي" فجهده المتميز ظهر في إبراز كيفية تآخذ السور القرآنية وتعالقها، وأشار إلى العلاقات التي تؤدي إلى هذا النظم، مما أظهر وعيه المتقدم بقضية التماسك النصي المطروحة في ظل الدراسات النصية اليوم.

ففي البداية اجتهد في إثبات توقيفيّة ترتيب السُّور وأيَّد موقف العلماء الذين أكدوا ذلك، ثم تجاوز الأمر إلى وضع قاعدة عامّة رُتّبت السُّور وفقها، فقال: " إنّ القاعدة التي استقر بها القرآن أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له واطناب لإيجازه، وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن طويلها وقصيرها".[2]

[1] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص40.

[2] – جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد القادر عطا، دار الاعتصام، مصر، د.ط، 1398هـ ، 1978م، ص 65.

إذ يذكر أن هذه القاعدة مؤكدة، فقد توصل لنفس النتيجة في أغلب سور القرآن، بحيث تتخذ –القاعدة – الجانب العلاقي: الاجمال/التفصيل أساسا لهذا الترتيب وتعد وسيلة فعالة من أجل إثبات توقيفيّة هذا الترتيب ونفي اعتباطيته.

ثانيا:– التّماسك النصّي في الدّراسات الحديثة:

لقد نال التماسك النصي اهتماما كبيرا من علماء النص في جميع جوانبه، بدايةً بتأصيل مفهومه مرورا بوضع كيفياته ووسائله ثم ضبط شروطه...إلى غاية وضع نماذج تحليلية تطبيقًا لدراساتهم وإثباتا لها، ولأهميته، نرى أن بعض العلماء قد جعلوا هذا المصطلح عنوانا لكتبهم، مثل كتاب **cohesion in English** لعالمي اللغة " هاليداي" و" رقية حسن".[1]

اتفق العلماء على أن التماسك النصي ذو طبيعة ثابتة تتمثل في الالتحام والوحدة والاستقرار، إذ يُبرِز خواص أي نظام تفكيري، سواء أكان نصا أو نظرية و يعتمد على فهم كل جزء من النص، أو جملة من خلال الأجزاء الأخرى وعلاقتها بها.

وعليه فقد أصبح لابد من وجود التماسك في أي نص، فقد نقل "الفقي" عن "هاليداي" و"حسن" قولهما الذي يرى أن لكل جملة علاقة بما يسبقها ولابد من وجود شكل من أشكال التماسك، حتى ولو تمثل ذلك في رابطة واحدة بينهما وهذا التماسك موجود في أغلب الأحيان، وفي بعض الأحيان وهو نادر جدّا أن للجملة رابطة بينها وبين ما يليها[2].

إذ يُعتبر التماسك أهم عناصر النصية فالتّحليل النصّي يعتمد عليه بالأساس، فهذا الأخير – التماسك – يبحث في العلاقات القائمة بين أجزاء الجملة، وكذلك بن مقاطع النص ومحاوره وكذلك بين النصوص المكونة للكتاب وهذا ما نراه في السور القرآنية وتماسكها ببعضها، حتى يدرسه ويُبيّن العلاقة القائمة بين النص والسياق الخارجي، ثم يحيط بالمحور العام للنص.[3]

فنرى أن التحليل النصي يقوم بالدرجة الأولى على التماسك والالتحام على عدة أوجه، من ناحية الجملة، فيبين العلاقة بين أجزائها وبينها وبين الجمل الأخرى، والنص من كل الجهات داخليا وخارجيا، في العلاقة بين محاوره وبين محاور النصوص الأخرى وبين ما يحيط به، إذ تشترك

[1] – ينظر الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص93.

[2] – ينظر، المرجع السابق، ص 93.

[3] – ينظر، المرجع نفسه، ص 97.

عدة عوامل في تحقيق التماسك وفهم خبايا النص منها، أو على وجه أصَح أهمها: النسق والسياق والمتلقي والمستقبل والعلاقة التواصلية من ناحية القبول أو المقبولية بعد القصد والمقصدية.

وهذا يحدث تفاعل بين القارئ والنص، إذ حال استيعابِه للنص يسعى جاهدا لفهم معانيه وتسلسله، فالتماسك يظهر بعد تذوق القارئ للنص فهو الذي يحكم إن كان نصا أو لا نص، فقد يضيف أبعاد جمالية له لم تكن موجودة من قبل، وهذا ما تراه نظرية التلقي أو الاستقبال، فقياس مدى امتياز النص يقوم على النص و مكوناته، والكاتب وخبراته، والقارئ وتذوقه، ويرى "أحمد عفيفي" أن التماسك يقوم على ضربين، الأول ما أظهر تماسك مقاطع النص والأجزاء المكونة له وهو ما يسمى (بالتماسك النسقي)، أما النوع الثاني هو ما يتعدى النص إلى خارجه وهو (التماسك المقامي)، وهو ارتباط النص بمقام محدد، إذ يُعد أحد الأشكال التي يتضمنها المحتوى النصي داخل النظام اللغوي.[1]

المطلب الخامس: أدوات التّماسك النّصي.

إن السر في ثبات النص واعتباره نظاما واحدا متكاملا يكمن في أدوات التماسك النصي، فهي التي تُؤدي بالنص إلى استقراره ورسوخه، وقد عدّدها علماء النص مثل: أدوات العطف، الحذف، التكرار والمرجعية والإحالة وغيرها.[2]

لأن هذه الأدوات ووجودها يحدثان الترابط النصي، ومن ثم يصبح كالكلمة الواحدة وحينئذ يحدث الرسوخ والاستقرار، بحيث يرى "كريستال" ان أدوات التماسك تفسر أو تشرح كيف أن جمل النص تترابط فيما بينها، وأنها تسهم في بناء تتابع الجمل في صورته التماسكية الكبرى.[3] لأن النص الذي يأتي مفكك الأوصال يصحبه تفكك دلالي، ويتعذّر فهمه ولأن فهم جملة ما في نص مرهون بمعرفة نوع علاقتها بالجمل الأخرى، فإذا غمضت هذه العلاقة بسبب غياب أدوات الربط أو بسبب سوء استخدامها، تعذّر معرفة إن كانت جملة ما نتيجة لسابقتها أم سببا لها تؤكدها أو تنقُضها.

---

[1] – ينظر، أحمد عفيفي، نحو النص، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2004م، ص 116.

[2] – ينظر، الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص 64.

[3] – ينظر، المرجع نفسه، ص 65.

يقول "الفقي" وهي فيما نرى تمثل الأدوات الرئيسية للتماسك النصي ذلك لأن معظم هذه الأقوال اعتمدت على الناحية النظرية، ولم تستطرد إلى التوضيح التطبيقي."[1]

لذلك أصبحت أدوات التماسك النصي كثيرة ومتنوعة بين الداخلية والخارجية، وبين الدلالية والشكلية والمشتركة بينهم، وهي شرط ضروري في أي نص، حتى يتحقق وجوده كنص، وإلا أصبح جملا متراصة لا روح فيها.

فالرّبط بين جمل النص ومقاطعه يحصل بجملة من الوسائل المختلفة في طبيعتها ووظائفها ومعانيها، وهذه الوسائل قد تكون معنوية أو دلالية، وقد تكون لغوية او شكلية، وقد تكون كذلك معنوية ولغوية معا، ومرد هذا الاختلاف، تنوع العلاقات الداخلية للنص.[2]

وقد اقترح "الفقي" تقسيم هذه الوسائل إلى نوعين:

- وسائل تماسك داخلية.
- وسائل تماسك خارجية

أدوات التماسك عند الفقي كما هو موضح في الشكل الآتي[3] :

[1] – المرجع السابق، ص 115.

[2] – ينظر، محمد الأخضر صبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص88.

[3] اينظر ، الفقي، المرجع السابق، ص 120.

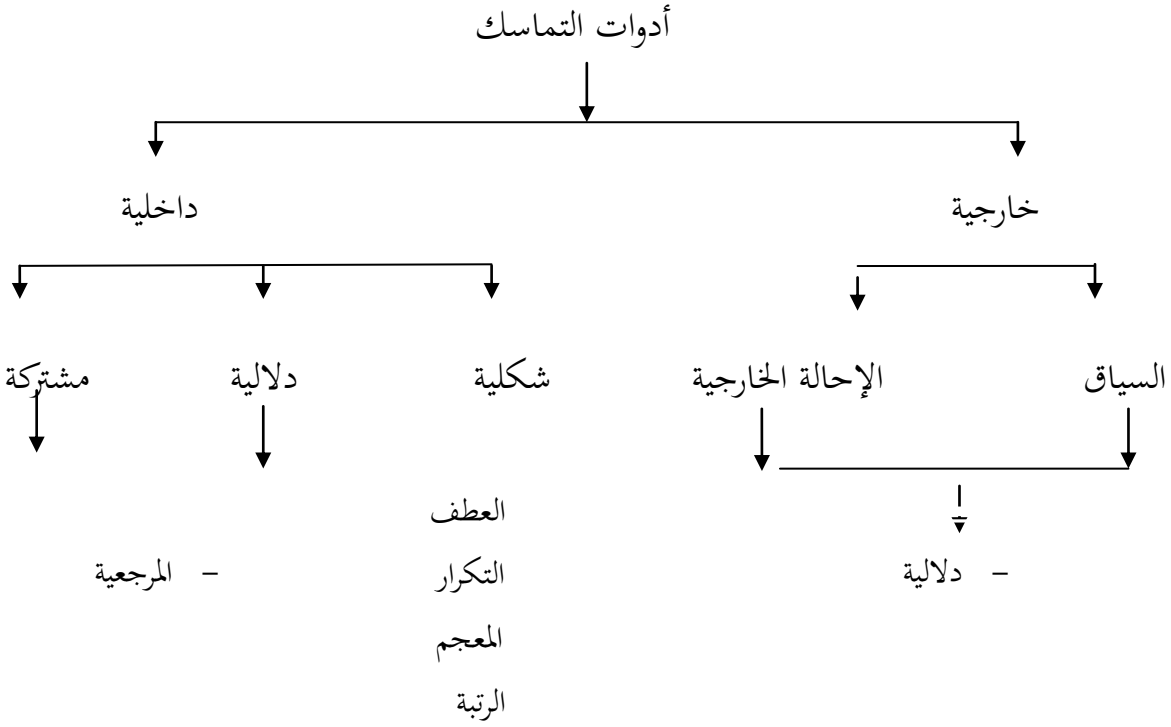

المطلب السادس: أهمية التماسك النصي.

لقد اتفق علماء اللغة والنص بشكل خاص، على أن التماسك يعتبر عنصر أساسي في بناء النص وتحليله، إذ يعد من أهم عوامل ثباته واستقراره ومن ثم يتبين أهميته في تحقيق هذا الثبات، إذ يساهم في ائتلاف الدلالات وعدم تشتتها في الجمل والأجزاء المكونة للنص.[1]

وتتجلى أهمية هذا التماسك في كونه يربط بين أجزاء الجملة وأجزاء النص بحيث يكون هذا الرابط دلالي شكلي، لأن الكلام لا يكون مفيدا إذا كان مجتمعا بعضه مع البعض الآخر، دون ترابط وعليه يمكن أن نلخص أهميته في :

- عدم الخلط بين عناصر الجملة.
- وضوح المقصود من الكلام وعدم وقوع اللبس فيه.
- وضوح العلاقة في الجملة وغيرها.
- جعل الكلام مفيدا ذو مقصدية فعالة.[1]

[1] - ينظر، المرجع السابق، ص 74.

هذا من جهة ومن جهة ثانية :

تتجسد هذه الأهمية حسب رأي كل من "براون" و "يول" في أن المصدر الوحيد للنصية هو روابط التماسك بين الجمل، وحسب رأي "هاليداي و رقية حسن": أن التماسك يركز على كيفية تركيب النص كصرح دلالي وليس على ما يعنيه النص، أي أنه يساهم في التعرف على ما هو نص وما هو غير ذلك.

- الربط بين الجمل المتباعدة زمانيا.
- التركيز على كيفية بناء النص كصرح دلالي.
- إعداد روابط التماسك يعد المصدر الوحيد للنصية.[2]

[1] - ينظر، المرجع السابق، ج1، ص 74.

[2] - ينظر، المرجع نفسه، ج1، ص 99، 100.

المبحث الثّاني: الاتّساق النصّي و آلياته

لقد اهتمت الدراسات النصية بمختلف الظواهر اللغوية وكان من أبرزها قضية التماسك, وهذه الأخيرة تقوم على معايير كأي نظرية وأي علم، فيرى ، دي بوجراند " أنه يرتكز على معيارين يربطان جانبي النص، الأول في الناحية الشكلية و الثاني من الناحية الدلالية ألا وهما الاتساق و الانسجام[1].

المطلب الأول : مفهوم الاتساق

1.لغة : جاء في لسان العرب: الأصل في الوسق هو الحمل، وكل ما وسقته فقد حملته وقيل، اتوَسقْ : العدل، و الوسق هو : وقرُ النّخلة ،وعندما يكثر حملها يقال : أوسقت النخلة والمسياق هو الحمام الوافر الجناح، والوسق ما دخل فيه الليل وما ضم، والوسق: ضم الشيء الى الشيء، والوسق هو الطرد واستوسقت الإبل إذا اجتمعت, وكل ما جُمع فقد وسق.[2]

فالوسق بمعنى الحمل أو الضم ، أو الطرد و إما الإجتماع.

المطلب الثاني : مفهوم الاتّساق في اللّسانيات النصية

يعرفه "محمد خطابي " بأنه: " ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص / خطاب ما, ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"[3]

فيرى أن الاتساق هو أعلى درجات التماسك أو هو التحام قوي ومتين يربط أجزاء النص. إذ تدرس فيه الوسائل اللغوية والتي بدورها تربط جزء من الخطاب أو تؤدي الى الترابط الكلي والشامل له.

ولا يتحقق هذا التماسك إلا إذا توفرت مجموعة من أدوات الربط النحوي و المعجمي التي تسهم في تكوين جانب الاتساق داخل النص والتي تخلق النصية ومن ثم لا يمكن أن نطلق عليه

---

[1] ينظر، وليد بوجلال، ملامح التماسك النصي في علوم القرآن، قراءة في كتاب "البرهان في علوم القرآن" للزركشي ، مجلة قراءات مج 13،عدد01 ،2021/12/20 ،ص 128

[2] ينظر ابن منظور، لسان العرب، مج 10، مادة (و .س.ق) ص 379 ، 380 .

[3] محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، ص 5 .

مفهوم النص المتسق المتماسك، إلا إذا توفرت الروابط التي تحقق تماسكه وتساهم في تكوين وحدته الشاملة.[1]

أما "دايفيد كريستال David crystal فينقل عنه "الفقي" رأيه اذ جعله متصلا بالبنية السطحية للنص أو شكله.[2]

إذا فقد وجب توفر عناصر لغوية ظاهرة على سطح الكلام لضمان تماسكه ولابد من وجود أدوات ربط غير ضمنية وإلا فلا يصبح نصاً.

من خلال ما تقدم يظهر أن هذا المصطلح مازالت تتجاذبه عدة أراء , ويعاني من عدم ضبط مفهومه بصفة نهاية , فقد يطلقه بعضهم على التماسك النحوي كما نجد "الفقي" يقول : "أما مصطلحا « Cohesion and Coherence » فهما يتصلان بالتماسك النصي داخل النص , ويرتبطان بالروابط الشكلية و الدلالية, وهما يمثلان أساساً مهما من أسس الدرس اللساني ... و أهداف "[3]

المطلب الثالث : آليات الاتساق

إن مفهوم الاتساق يعني ترابط الجمل في النص مع بعضها بعض بوسائل لغوية معينة وهذا الترابط، يهتم بالروابط التي تجري في سطح النص أكثر من اهتمامه بالشكل الدلالي أو المعنوي للنص.

فقد عني المهتمون بنحو النص بهذه الروابط وحاولوا حصرها و تصنيفها وبيان وظائفها ومحاولة تعميمها ويعد الثنائي "هاليداي" و "رقية حسن " أبرز من تحدث عن أدوات الاتساق في كتابهما "الاتساق في الانجليزية وصنفوها إلى خمسة أدوات تربط بين الجمل أو الفقرات وتساهم في تماسك النص وهي: المرجعية أوإلاحالة (Référence)/ الاستدلال [4](Substitution)/ الحذف (éllipsis) / الوصل أو العطف (conjuction) / الاتساق المعجمي (lescicalncohosion)

[1] ينظر, المرجع السابق , ص 13 .

[2] ينظر، الفقي , علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق , ج1 , ص96 .

[3] المرجع نفسه, ج1 ,ص42.

[4] ينظر ، المرجع نفسه ، ص 116

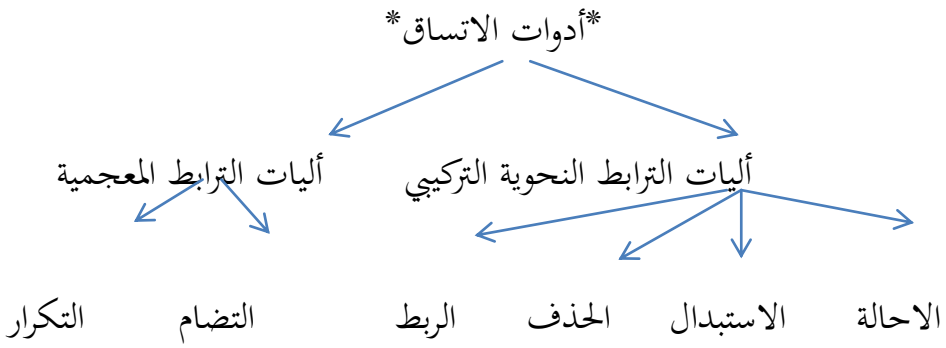

I. أليات الترابط التركيبية

أولا: الاحالة أو المرجعية (Référence) : تعتبر من أهم أدوات الاتساق التي تحقق للنص التحامه و تماسكه ، اذ تقوم بدور أساسي في ربط أجزاء الجملة الواحدة من ناحية و ربط عدة جمل مع بعضها البعض من ناحية اخرى، و بالتالي الوصل بين مختلف مقاطع النص :

1- **مفهومها لغة** : يعرفها الزمخشري في كتابه أساس البلاغة بأن ح و ل أي حال عليه الحول ، ويقال الناقة حائل أي غير حامل ، ومن تحاويل الارض أن تزرع سنة و أخرى لا ، واحالة غيره فهو حائل، وشيء مستقيم ومحال وحال من مكانه تحول، وكذلك يقال في عتبة حول، وحاوليته طلبته بحيلة[1] إن كلمة أحال تستعمل لازمة ومتعدية ، فإن كانت متعدية فإنها تعني نقل الشيء من حال إلى حال اخرى.

2- **اصطلاحا** : لقد نقل "محمد خطابي " عن "هاليداي" و "رقية حسن " قولهما بأنه من أجل فهم و تأويل العناصر المحيلة لا ينتهي الرجوع إلى ما تشير إليه [2] فهي غير كافية لوحدها لتفسير الظواهر.

إذ تعتبر رابطا مهما في اتساق النص ، و تخضع لقيود دلالية وليس لقيود نحوية ، إذ يجب فيها تطابق الخصائص بين العنصرين المحيل و المحال اليه و للإحالة ثلاث أدوات: الضمائر، أسماء الاشارة، و أدوات المقارنة[3]

[1] ينظر ، الزمخشري ، أساس البلاغة ج1 مادة (ح و ل) ص 208
[2] ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ص 16، 17
[3] ينظر ، خليل بن ياسر البطاشي ، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، ص، 165

ثانيا: أنواعها : قسم "هاليداي " و "حسن" الإحالة الى نوعين رئيسين هما الإحالة المقامية و الإحالة النصية و يتفرع عن هذه الأخيرة عنصرين : قبلية و بعدية، وهذا ما سنوضحه في الشكل:

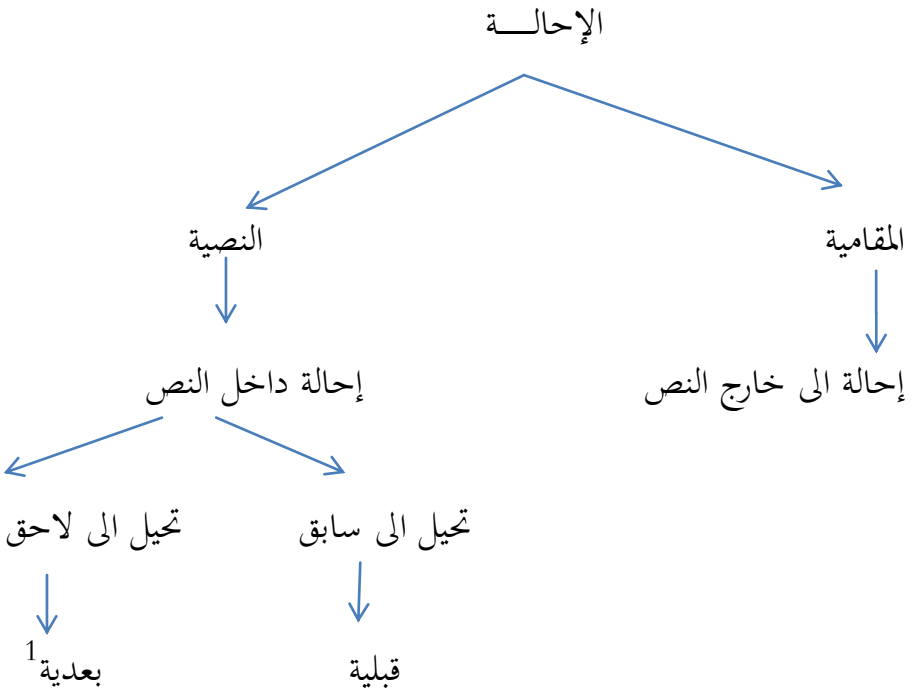

❖ **الإحالة المقامية:** وهي إحالة خارج النص تحيل دائما على أشياء وموجودات خارج النص، وتساهم في تشكيل النص بطريقة غير مباشرة لكونها تربط اللغة بسياق المقام[2]

❖ **الإحالة النصية** : وهي إحالة داخل النص إذ تحيل فيها بعض الوحدات اللغوية على وحدات أخرى سابقة عنها أو لاحقة لها في النص وتؤدي اتساقه بشكل مباشر، إذ تحيل إلى عنصر سابق أو لاحق داخل النص.[3] إذا تتفرع الى نوعيين:

[1] ينظر، المرجع السابق، ص 165، 166

[2] ينظر ، محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، ص 17

[3] ينظر، خليل بن ياسر البطاشي ، الترابط النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص 165

❖ **إحالة قبلية Anaphora** : وهي إحالة على السابق تعود على مفسر سبق التلفظ به ، وتعتبر أكثر الأنواع شيوعا في الكلام ، ويمكن أن تكون الإحالة على ما سبقها تكرار كلمة أو عبارة في جملتين متتاليتين، ويسهم هذا النوع الى الاشارة كما سبق في تحقيق التماسك النصي بالتكرار أو بالتوابع أو بالحذف.[1]

❖ **إحالة بعدية Cataphora** : وإذ تعتبر ثاني نوع من الإحالة الداخلية وهي عكس الإحالة القبلية ، إذ تحيل الى العنصر اللاحق وهي استعمال عبارة أو كلمة تدل على ما هو آت بعدها.[2]

ثالثا: الحذف : مفهومه:

1- **لغة:** جاء في أساس البلاغة، فرس محذوف الذنب أي مقطوع طرفه وحذف رأسه بالسيف أي قطعه، وحذف الحيوان بالعصا أي رماه بها، ويقال: " الحذف بالعصا و الحذف بالحصى"[3]

فالحذف يعني القطع أو البتر و الرمي و التسوية

2- **اصطلاحا:** الحذف ظاهرة لغوية عرفت في تراثنا اللغوي العربي القديم قبل الدراسات الحديثة ولشدة أهميتها أولاها النحاة و العلماء جهدا كبيرا.

فقد اهتم بها البلاغيون، وهذا شيخ الصناعتين "الجرجاني" يقول في كتابه في باب الحذف: " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فانك ترى به ترك الذكر، أفصح في الذكر، والصمت عند الافادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون اذا لم تنطق، و أتم ما تكون بيانيا إذا لم تبن".[4]

---

[1] ينظر ، الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص 38

[2] ينظر، المرجع نفسه، ج1، ص 39 .

[3] ينظر، الزمخشري، أساس البلاغة، ج1 مادة (ح ذ ف) ص 161 ، 162

[4] خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني الخطاب ، ص 71

إذ بعد الجرجاني أحد قامات البلاغة العربية الذين اهتموا بها وكرسوا لها حياتهم فأصلوا لهذه اللغة، وقد خصص للحذف بابا كاملا، فقد وضع له تعريفا و أوجد له أنواعا وشروطا و قواعد يقوم عليها ، وذلك لقوله أنه دقيق إذ يجب أخذ الحذر خاصة في القرآن الكريم، إذ يرى أنه شيء عجيب حتى شبهه بالسحر فتجد في الحذف بلاغة وتذوقا أكثر من ذكر الكلام ، ويكون الصمت في بعض الأحيان أفصح من الذكر، فيظهر المقصود ويبين أكثر مما تبينه عن قصد.

أما "دي بوجراند" فيرى أن الحذف هو إلغاء الجمل الظاهرية المعنى التي تفهم بدون ذكرها فتكون زائدة فهي مجرد توسعة وتعديل للعبارات الأخرى.[1]

3- أنواعه:

لأن الحذف من سنن العرب كما يقولون أفاض القدماء في ذكر أنواعه ، فضربوا الأمثلة والشواهد وكذلك فعل المحدثون، و إن اختلفت الادوات و الطرق، إذ قال "ان جني (ت 392 هـ) أن العرب قد حذفت المفرد والجملة ، و الحرف و الحركة وقد وضعوا دليلا لكل منها.[2]

وقد أعطى "ابن جني" أمثلة و نماذج كثيرة لمواضع الحذف مثل:

1. **حذف المفرد**: ويكون على ثلاثة اضرب اسم و فعل و حرف.
2. **حذف الجملة**: كجملة الشرط والقسم وغيرهما.
3. **حذف الاسم**: يحذف المبتدأ و الخبر وغيرهما.
4. **حذف الفعل**: إما أن يحذف وحده أو مع الفاعل فيصبح كحذف الجملة.
5. **حذف الحرف**: وذلك بحذف الحرف الزائد.[3]

[1] ينظر، المرجع السابق ، ص، ن 71

[2] ينظر، ابن جني، الخصائص ، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ط2 ، 1424 هـ ، 2002م ، ج2 ، ص 140

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص 381 .

4- شروط الحذف:

لقد اشترط العلماء في الحذف عدة شروط من بينها:

- يشترط أن يكون العنصر المحذوف من نفس مادة المذكور قبله.
- يجب إحاطة المتلقي بمكونات السياق الاجتماعي و اللغوي المصاحب له حتى يتمكن من تقدير العنصر المحذوف.[1]
- واشترط وجود الدليل على المحذوف.[2]

5- علاقة الحذف بالاستبدال:

الحذف لا يختلف عن الاستبدال في كون لهما علاقة بالاتساق، إلاّ أن علاقة الاستبدال تترك أثرا وهو أحد عناصرها، أماّ علاقة الحذف لا تترك الأثر ولذلك فالمستبدل يعتبر مرشدا يعتمد عليه المتلقي للبحث و اكتشاف العنصر المفترض ، عكس الأمر في الحذف و الذي لا يحل محله أي شيء.[3]

رابعا: الوصل (العطف) :

يختلف الوصل اختلافا تاما عن بقية وسائل التماسك النصي التي سبق الكلام عنها من حيث أنه يصل وصلا مباشرا بين جملتين أو أكثر في النص.

يقول " صلاح فضل" : "تختلف طبيعة الوصل عن باقي وسائل الاتساق الاخرى التي تقوم على علاقات إحالة...يعمل على تحقيق الاتساق الوظيفي في النص".[4]

فالوصل ليس كالإحالة مثلا التي تبحث فيها عما تحيل عليه فيما سبق أو لحق من الكلام، إذ يعبر عن معاني مقصودة معينة و التي توجب وجود مكونات أخرى إذ يحقق الاتساق بصورة وظيفية.

---

[1] ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، ص 21، 22

[2] ينظر، الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ، ج2، ص 192 .

[3] ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص ، مدخل الى انسجام الخطاب، ص 21 .

[4] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 262 .

1- مفهوم الوصل (العطف):

- **لغة:** يذكر الزمخشري عدة تعاريف لغوية للوصل اذ يقول : وصل الشيء بغيره فاتصل، ووصل الحبال أي ربطهما ووصلهما ببعض، و موصل أي فيه وصل كثير ، وقطع الله وصاله أي مفاصله وهي ج، وَصَل و وَصْل ، و اذا مات الرجل أو أصابه نكب قيل : لا كنت له بوصل أي لا أصابك مثله.[1]

فهو الوصل و البلوغ والانتساب و الانتماء وغيرهم.

أما بالنسبة للعطف فيرى "الزمخشري" بأنه العطف فعطفه الله تعالى عليه عطفا وخير الناس العطاف عليه أي العطوف، وعطف الوسادة أي ثنيها ، وثني عطفه أي أعرض، و التعاطف في المشي هو تحريك الرأس في المشية، و يقال لا تركب معطافا أي مؤخرا وهي عكس مقدم.[2]

- **اصطلاحا:** فعند "دي بوغراند" الوصل يشير الى تعلق العناصر و الصور بعضها ببعض داخل النص[3] ، بمعنى أنه يعمل على ربط سابق بلاحق.

أما عند " هاليداي" و "رقية حسن" فيعتبرانه أحد وسائل السبك وبه يترابط السابق مع اللاحق بشكل منظم، و هو أحد طرق الترابط.[4]

ويوضح "محمد خطابي" هذا التعريف بالقول: " معنى هذا أن النص يشتمل على جمل متتاليات متعاقبة خطيا، ولكي تدرك وحدة متماسكة ، فإنها تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص...العطف[5]

إذ يُعرف النص على أنه مجموعة جمل متتالية خطية، وحتى تصبح متماسكة و مترابطة فيما بينها لابد من وجود عناصر رابطة لتصلها ببعضها البعض، و أشهر أدوات الربط هي حروف العطف المختلفة.

---

[1] ينظر، الزمخشري، أساس البلاغة ، ج، 2، مادة (و ص ل) ص 511 .

[2] ينظر ، المرجع نفسه، ج2 ، مادة (ع ط ف) ص 126 .

[3] ينظر، دي بوغراند، النص و الخطاب و الاجراء ص 346 .

[4] ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل الى انسجام الخطاب، ص 23 .

[5] المرجع نفسه ، ص 23 .

- **أدوات الوصل:**

يرى "دي بوغراند" أن أشهر أدوات العطف أو الوصل هي حروف العطف ولها صور كثيرة وهي :

1.مطلق الجمع (Conjuction) :يربط بين عبارتين أو أكثر متحدتين في النسبة و ذلك باستخدام الواو و أحيانا "إلى".

2.التخيير (Disjonction) : يوصل بين عبارتين لهما نفس المحتوى و يختار محتوى احد ويستعمل "أو" كأداة للوصل.

3.الاستدراك (Contrajunction) : وذلك باستخدام الأدوات التالية (لكن، بل ، مع ذلك) في صورتين بينهما علاقة تعارض.

4.التفريغ (Subordination) : وذلك يكون بين عبارتين تتحقق إحداهما بحدوث الأخرى، وتستخدم الأدوات الأتية (لأن ، مادام ، من حيث ، لهذا)[1]

II.أليات الترابط المعجمية:

أولا: التكرار: يعد التكرار أحد الظواهر اللغوية والتي تتم بها جميع اللغات بشكل عام واللغة العربية بشكل خاص ، ويصنف ضمن خانة التماسك المعجمي، إذ يحقق ترابط النص وتماسكه من خلال بناء مجموعة من العلاقات داخل النص، فتكرار العناصر يحافظ على بنية النص، إذ يوجد عدة مستويات للتكرار، كتكرار الكلمات والحروف والجمل، العبارات والقصص وحتى المواقف كما نجد في القرآن الكريم.[2]

[1] ينظر ، دي بوغراند النص و الخطاب و الاجراء ص 346 ، 347 .

[2] ينظر، الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ، ج2 ، ص 17 .

ثانيا: مفهوم التكرار: لغة : جاء في أسرار البلاغة للزمخشري، ك ر ر – بمعنى انهزم عنه، وكرّ بعدما فرّ، وكرر الحديث كرّا، وكرر عليه تكرار، إذ كرر على سمعه كذا وكذا وغنم مِكرة أي تُحلب في اليوم مرتين، و الكرار هو صوت في الجوف أو في الصدر ، و تكرّ بمعنى تصرف[1]

اصطلاحا: لم يختلف القدماء في اعطاء مفهوم له خاصة عندما أجمعوا على أنه من التوكيد اللفظي.

فها هو "الزركشي يرى أنه الترديد و الاعادة أي في التكرار ، إذ يعتبره من محاسن الفصاحة، وخاصة إذا انتظم و التحم بعضه ببعض.[2]

وكذلك يرى أنه بتحقق بتكرار اللفظ نفسه أو لفظة أخرى مرادفة له و ذلك لتثبيت معنى ما، مخافة أن ينسى المتلقي الأول – اللفظ الأول – وذلك لطول الجهد به.[3]

أما " الفقي" يورد تعريفا يضمن للتكرار وظيفته – على حد قوله – وذلك لما بمعناه، أن التكرار هو اعادة ذكر أحد عناصر النص أو مكوناته سواء كان لفظ أو عبارة أو جملة أو حتى فقرة، و ذلك بإعادته كما هو نفسه أو بما يرادفه و هذا يحقق أغراض كثيرة أهمها التماسك و الالتحام النصيين بين أجزاء النص المتباعدة.[4]

وللتكرار أربعة أقسام:

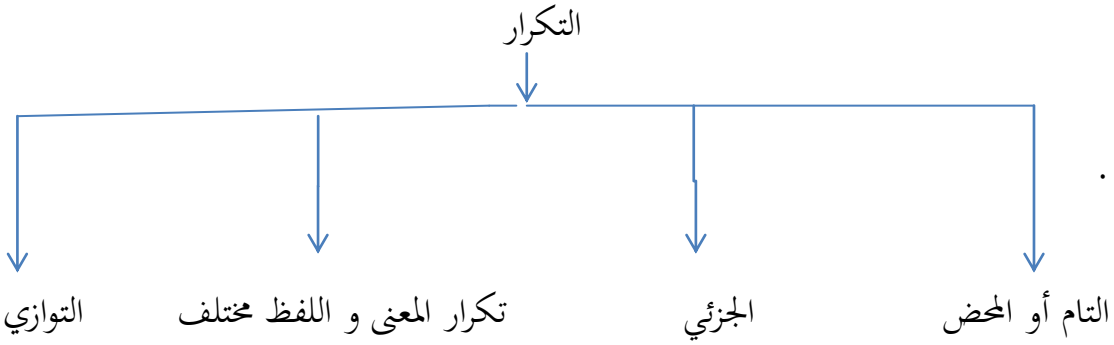

.

[1] ينظر، الزمخشري، أساس البلاغة ج2، ص 302

[2] ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن ج3 ، ص8

[3] ينظر، المرجع نفسه ، ص10

[4] ينظر، الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، ج2 ، ص20 .

1.**التكرار التام أو المحض** : **Full Recurrence** : وهو تكرار اللفظ و المعنى معا فهو تكرار الكلمة كما هي دون تفسير إذ يحقق أهدافا تركيبية ومعنوية.[1]

2.**التكرار الجزئي**: **Partial Recurrence** : وذلك بالاشتقاق أي تكرار الجذر اللغوي في عدد من الصيغ مثل : أشركوا شركاؤكم، مشركين.[2]

3.**تكرار المعنى و اللفظ مختلف** : **Synonym** : أو هو الترادف أو شبه الترادف، و ذلك بتكرار المعنى دون اللفظ ، أن يكونا اللفظين أو العبارتين متساويتين في المعنى.[3]

4.**التوازي**: **Parallelisme** : وهو تكرار البنية فقط وملئها بعناصر معنوية أخرى مختلفة بحيث تكون متكافئة.[4]

صحيح أن التكرار ظاهرة لغوية مهمة، وذلك لما لاقته من اهتمام من طرف علماء اللغة العرب و القدامى وحتى المحدثين وكذلك الغربيين، الا أنّ الاكثار منه قد يظهر الفقر اللغوي لدى الكاتب، وينتج عنه اطناب وكذلك عدم قبول المتلقي للنص لغياب التماسك فيه.

[1] ينظر، خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص66

[2] ينظر، المرجع نفسه ص 67 .

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص 67 .

[4] ينظر، المرجع نفسه، ص 68 .

المبحث الثّالث: الانسجام النصّي والياته.

يبنى التماسك النصي على مبدأين لتحقيق الترابط النصي و هما: الاتساق و الانسجام أما الأول و الذي يهتم بالجانب الشكلي التركيبي للنص قد سبق و تحدثنا عنه، و الثاني فيتحقق على المستوى الدلالي أي البنية العميقة للنص و هذا مانحن بصدد دراسته .

المطلب الأول: مفهوم الانسجام:

- **لغة** : جاء في أساس البلاغة عدة معان لهذه المادة (س، ج ، م) فيقال دمع ساجم و دموع سواجم وعين ساجمة، أي قطران الدمع و سيلانه ببطيء و بالقليل و مطر ساجم و سحاب سجام، فالسحابة انسجمت بمعنى دام مطرها. و ناقة سجوم أي درور كثيرة الحليب ، و السجوم عن الأمر هو الإبطاء فيه.[1]

المطلب الثاني : مفهوم الانسجام في الدراسات اللسانية الحديثة

- يسميه بعض الدارسين " بالحبك " أمثال سعد مصلوح ، إذ يعمل على الاستمرارية داخل النص و المقصود بها الاستمرارية الدلالية، التي تُحقق داخل منظومة المفاهيم النصية ، فالنص عبارة عن تتابع و توالي للمعاني المتمثلة ، وترابط هذه الأخيرة تنقاد و تخضع لمجموعة من الوسائل و العلاقات.[2]

ويرى " محمد خطابي " أن الانسجام أهم من الاتساق ، اذ يدرس البنية العميقة للنص فهو بذلك أعمق منه، بحيث يوجب بناء الانسجام على المتلقي صرف نظره جهة العلاقات غير الظاهرة التي تنظم النص، بمعنى تجاوز الاتساق الى الكامن و هو الانسجام.[3]

---

[1] ينظر، الزمخشري، أساس البلاغة، ج1 ، مادة (س ج م) ص 425 .

[2] ينظر، وليد بوجلال، ملامح التماسك النصي في علوم القرآن ، قراءة في كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي، ص 129

[3] ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب ص 5، 6 .

المطلب الثّالث : آليات الانسجام :

لا أحد يمكنه أن ينكر الجهود الكبيرة التي بذلها " فان دايك **Van Dik** " هذا الباحث الهولندي في مجال لسانيات النص و التي مكنته من بلورة نظرية كاملة في مجال النصية ، إذ يعترف له صلاح فضل بذلك المجهود فيقول بأن هذا الباحث قد توصل هو و مدرسته الى نتائج الدراسات البحثية في البنية النصية الكبرى و مجاراتها للبحوث البلاغية.[1]

1- موضوع الخطاب:

لقد استعمل مفهوم الموضوع أولا في وصف بنية الجملة، و يعده " فان دايك" عمل يحدد بأي شيء قيل في شيء ما ، و يرتبط مفهومه بالمفهوم العام للنص، اذ يطرح قضية مفادها بأنه هل يمكن أن يحتوي النص الواحد على أكثر من موضوع ؟[2]

فعنده – فان دايك – البنية الكلية هي نفسها موضوع الخطاب ، إذ بعده بنية دلالية يصف بواسطتها انسجام الخطاب، وتكمن وظيفته في تنظيم و ترتيب و تصنيف المعاني الدلالية للمتتاليات كلها.[3]

2- التأويل المحلي:

يعده محمد خطابي أحد مبادئ الانسجام إذ يهتم بتأويل و تفسير النص سواء كان كاملا أم جزء منه ، إذ يؤخذ من النص إلاّ ما هو مهم للمتلقي ، وترك مالا يتماشى مع هذه القراءة ، إذ يرتبط هذا المبدأ بالمتلقي و مدى تفاعله و فهمه و تذوقه لما يتلقاه، فتظهر الطاقة التأويلية لديه، و ذلك بالاعتماد على خصائص السياق، من باث و متلقي و الرسالة و يتعلق كذلك بطريقة تحديد الفترة الزمنية في تأويل هذا النص.[4]

[1] ينظر، صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص 324 .

[2] ينظر، خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص 225 .

[3] ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، ص 40 .

[4] ينظر، زاوي رحمونة، دور الانسجام في تماسك النص القرآني ، نماذج من سورة الأعراف، ص 27 .

إذ يهدف هذا المبدأ الى تعيين عملية التأويل للنص من قبل المتلقي وضبطها، ويعتبر التأويل المحلي جزءا من استراتيجية شاملة وهي التشابه ، فهو يقيد السياق.[1]

ثالثا: مبدأ التغريض:

إن مفهوم التغريض له علاقة مباشرة ووطيدة بموضوع الخطاب، إذ يتعلق بالارتباط بين ما يدور في أجزاء النص، وينقل " خطابي " تعريف "كرايمس " له إذ يرى أنه كل قول سواء جملة أو فقرة أو خطاب منظم له عنصر خاص يُتخذ كنقطة بداية.[2]

ويعلق " خطابي " أن كليهما يتعلقان بما يدور بين أجزاء الخطاب ، وبين عنوانه أو نقطة بدايته، لأنه لابد من وجود مركز جذب لكل خطاب وهذا المركز هو ما يؤسس منطلقه وتحوم حوله بقية أجزائه.[3]

وأحد العناصر التي تتحكم في موضوع الخطاب هو العنوان، لكن "براون" و" يول " حسب ما نقل على لسانهما " الخطابي "، إذ يقول بما معناه أنهما لا يعتبرانه موضوعا للخطاب، بل مجرد تعبير له، و تكمن وظيفته في أنه أداة مهمة في التغريض.[4]

ويعتبر أنه كذلك، إذ أنه يشير لدى القارئ توقعات قوية حول ما يمكن أن يكون موضوع الخطاب، بل في كثير من الأحيان ما يتحكم العنوان في تأويل المتلقي.

إن ما سبق ذكره من المبادئ يعد أهم ما توصل اليه الباحثان حول الطرق و الأدوات التي تؤدي الى انسجام الخطاب ، إذ كانت الغاية لديهما هي ايجاد جواب لسؤال مهم و هو عن الكيفية التي تؤدي بالمتلقي الى فهم النص و تأويله، و يتوصلان الى إجابة مفادها أنه يفعل ذلك بالاعتماد على مبادئ و عمليات ذهنية ومن هذا فهما :

- يستعملان مفاهيم و مصطلحات خاصة مثل: معرفة العالم و أطر و غيرها.
- يعتبران الانسجام مرتبطا بالقدرة على الفهم أولا ثم التأويل.

---

[1] ينظر ، محمد خطابي، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، ص 53 .

[2] ينظر، المرجع نفسه ص 59 .

[3] ينظر، المرجع نفسه ، ص 59 .

[4] ينظر، المرجع نفسه ، ص 60 .

- يعطيان أهمية للانسجام النصي من ناحية المتلقي، إذ يريان أن له دور مهم في ذلك وذلك يحدث بعد دراسة الكيفيات و المبادئ التي يستعملها لبناء انسجام النص.[1]

رابعا: السياق:

يرى كل من "براون" و" يول "أن في تحليل الخطاب لا بدّ من أخذ السياق بعين الاعتبار، وهو في نظرهما يتشكل من الباث، المتلقي، الظرفين الزماني والمكاني، إذ يساعد في تأويل وتفسير الخطاب، وينقل"خطابي " رؤية " هايمس" للسياق، إذ يرى أنه ذو خصائص قابلة للتصنيف وهي كالاتي: مرسل، مرسل اليه، الموضوع ، المقام، شكل الرسالة، القناة، النظام، الغرض، وكذلك يشير الى أن للسياق دور مزدوج ، فهو يحدد التأويلات ويحيلنا الى التأويل المقصود.[2]

لقد أصبح للمعنى والسياق، علاقة وطيدة ، خاصة إن وجد لبس أو ابهام، ففي ذلك الحين لابد من الرجوع للسياق، وقد تطورت دراسة السياق حتى أصبحت له نظرية مقعدة مقنّنة وأصبحت هذه الأخيرة تمثل أساس علم المعنى ، لكن بشرط تطبيقها بحكمة، وقد أسفر عن هذه النظرية نتائج مدهشة.[3]

1- أنواعه:

- **السياق اللغوي (المقالي) :**

لقد تفطن بعض العلماء العرب للسياق اللغوي و أدركوا دوره في تحديد المعنى و ضبطه، فقد تتبعوا اللفظ الواحد في القرآن الكريم، وجمعوا دلالتهن وأطلقوا على ذلك بما يسمى بالنظائر والوجوه، فالسياق اللغوي يعني المعنى الذي ورد للكلمة، داخل معنى اللفظ أو الجملة أو غيرهما، فهو المعنى الذي يفهم من الكلمة وهي داخل السياق، من كلمات و عبارات قبلها وبعدها، ثم من هنا ندرك أن السياق اللغوي في الاصطلاح هو النظم والالتحام اللفظي للكلمة، وهذا حسب

[1] ينظر ، المرجع السابق، ص 89-90 .

[2] ينظر، محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، ص 53 .

[3] ينظر، الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ، ج1 ، ص 105 .

ما نقله عبد النعيم خليل ، عن "أولمان ستيفن " ، و كذلك هو المعنى المعجمي للمفردة، أي موقعها من الجملة أو العبارة.[1]

1– سياق غير اللُّغوي (مقامي، سياق الحال):

لقد نقل " عبد النعيم خليل " عن عدد من الباحثين الغربيين و العرب تعريفات له، فهو عند "هارتمان " و "ستورك " عبارة عن علامات و اشارات يصورها العالم و المحيط الخارجي بالنسبة للكلمة أو نص ذو معنى.[2]

وأطلق عليه "كمال بشر " المسرح اللغوي أو المقام أو ما يدور حوله الحال حيث يقول : " والمقام في نظرنا ليس مجرد مكان يُلقى فيه الكلام ، و إنما إطار اجتماعي ذو عناصر متكاملة أخذ بعضها بحجز بعض...و هناك كذلك الكلام نفسه".[3]

فيرى "كمال بشر " أن المقام هو مجموعة من العناصر المتكاملة، و يرى أنه مقام اجتماعي، إذ يضم الملقِين و المستقبلِين للكلام و علاقتهم ببعضهم بالإضافة الى المواقف و مواده و مداراته المتنوعة التي تساعد في فهم الكلام بدون غض النظر عن الكلام في حد ذاته.

ويتكون سياق الموقف من مجموعة من العناصر المختلفة و هي أساسية ، فهي كالاتي: الملقي ، المستقبل و علاقته بالملقي، نطاق الحديث، المكان و الزمان الموضوعات التي يحتويها الموقف، لغة الجسد، حياة المتحدث و بيئته التي عاش فيها أي خلفياته الاجتماعية و الثقافية وغيرها، و الأثر الذي تركه الحدث اللغوي في نفوس المشاركين، الخلفية الثقافية لكل من الباث والمستقبل، و هذا ما أطلق عليه **K. annme** بالسياق الثقافي و اعتبره سياق مستقلا بذاته أو أحد أنواع السياق و اعتبره " فيرث" أساس النظرية السياقية.[4]

---

[1] ينظر، عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء و المحدثين ، دار الوفاء، الاسكندرية، ط1 ، 2007م ، ص 37 .

[2] ينظر، المرجع نفسه ، ص 82 .

[3] المرجع نفسه، ص 82 .

[4] ينظر، المرجع نفسه، ص 93 .

الفصل الثاني:
المناسبة وأثرها في تماسك النّص القرآني

المبحث الأوّل: المناسبة (المفهوم والأهمية).

المطلب الأوّل: تعريف المناسبة.

أ- لغـــة:

للوصول إلى المعنى الاصطلاحي كان لابد لنا من أن نعرج على المعنى اللغوي أولاً، حيث ورد في لسان العرب لابن منظور (ت711هـ) أن النِّسبة والنُّسبة بالضم والكسر تعني القرابة وتظهر في الآباء خاصة، والمناسبة هي المشاكلة.[1]

أما في أساس البلاغة (ن س ب) أي له نسب في بني فلان، وقوم كرم المناسب ومن تنسب إلى أي أنه ادعى أنه نسبي، وحين نقول بين الشيئين مناسبة وتناسب أي تقارب ولا نسبة بينها.[2]

نفهم مما تقدم أن كل المعاجم اتفقت على أن المعنى اللغوي للجذر (ن س ب) يدور حول مفهوم المقاربة والمماثلة، والملاءمة والموافقة والمشابهة والتشاكل.

ب- اصطلاحًا:

مما يمكن أن يقال في المعنى الاصطلاحي هو نفسه ما قيل في المعنى اللغوي، فالمناسبة اصطلاحًا تعني المقارنة والمشاكلة أو الارتباط، ويكون ذلك بين الألفاظ من حيث البنية أو الدلالة أو بين المعاني الكليّة الحاصلة في التأليف، وبتعبير آخر هي «وضع الكلام موضعه الذي يليق به حتى تتم له حسن البلاغة».[3]

أما في مصطلح علماء القرآن، فقد أورد الزركشي في "البرهان" عن القاضي أبي بكر بن العربي (ت543هـ) قوله، بأنها التحام وتماسك آيات القرآن الكريم بعضها ببعض، حتى تصبح كالكلمة الواحدة، منتظمة المباني منسجمة ومتسقة المعاني.[4]

---

[1] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج1، مادة (ن س ب)، ص755، 756.

[2] ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، ص437، 438.

[3] مصطفى شعبان عبد الحميد، المناسبة في القرآن، المكتب الحديث، الإسكندرية، ط1، 2007، ص36.

[4] ينظر، الزركشي، الرهان في علوم القرآن، مج 1، ص36.

أما البقاعي (ت885هـ) فيرى أنها علة الترتيب، ومن هذا عرف علم المناسبة على أنه: علم وضع لمعرفة سبب ترتيب ونظم أجزاءه، وهذه هو السّر وراء البلاغة، لأدائه في تحقيق مطابقة الكلام لمقتضى الحال.[1]

وقد نجح البقاعي في بَلورة مفهوم لهذا العلم، وبيان موضوعهن واستخراج ثمرته، ثم توظيفه كآلية في تفسيره، إذ يرى أن ارتباطه بعلم التفسير كارتباط علم البيان بالنحو، إذ يجب معرفة مقصود الآية والسورة ككل.[2]

ج- العلاقة بين المعنيين:

يبدو توافق المعنيان اللغوي والاصطلاحي للمناسبة فكلاهما يعني: أن هناك رابط ما يربط بين الآية وجارتها أو السورة وأختها، كما يربط النسب بين المناسبتين، غير أن ذلك لا يعني أن تكون الآيات والسور متماثلة كل التماثل.

المطلب الثاني: موضوع علم المناسبة.

لكل علم موضوع يدرسه فيقول البقاعي في موضوع علم المناسبة :«وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء، سبب ما له بما وراءه، وما أمامه في الارتباط والتعلق الذي هو كلمة النسب».[3]

فعنده موضوع علم المناسبة هو أجزاء الشيء ومقاطعه وذلك لمعرفة علة نظمه وترتيبه، ونتاجه يظهر عند اكتشاف المرتبة التي يستحقها ذلك الجزء وذلك بعد معرفة سبب ترابطه بما سبقه وما يلحقه من الكلام.

إن المناسبة بين السور على وجه العموم وبين آياتها على وجه الخصوص يقوم على أساس يعتبر النص كتلة واحدة متماسكة منتظمة الأجزاء، أما مهمة المفسر فتكمن في معرفة واكتشاف

[1] ينظر، البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص5، 6.
[2] ينظر، المرجع نفسه، ص5.
[3] البقاعي، نظم في تناسب الآيات والسور، ج1، ص5.

العلاقات التي تربط بين الآيات من جهة وبين السور من جهة أخرى، وهذا يعتمد على ثقافة المفسر واجتهاده، وعلى قدرته في النفاذ والتغلغل داخل النص، إذا يرى "الفراهي" أنه عند وجود عدة أمور حصل ذكرها في أكثر من سورة، فلابد أن يكون كذلك قصد يدل على التناسب بينهم، وكذلك إن وجد في سورة واحدة أي بين سابقة الآية ولاحقتها فكذلك لابد من وجود علاقة بينهم، فوجب عليهم التفكير والبحث لانستباط المناسبة.[1]

والمناسبة قد تكون حسية أو عقلية ذهنية، وقد تكون عامة أو خاصة، وقد تكون خيالية، وقد تكون علاقة تلازم سواء كان تلازم خارجي أو حسي أو ذهني، وهذا يعني أن المناسبات والعلاقات بين السور والآيات هي مجموعة من الاحتمالات، وجب على المفسر اكتشافها وحصرها وتعيينها في كل أجزاء ومقاطع النص كلا على حدى.[2]

كما أن البحث في علاقات الآيات والسور واكتشافها ليس معناه الوصول إلى علاقات ثابتة مستقرة في النص، وإنما وجب تأسيس وبناء علاقة تربط بين المفسر والنص وهذا ما يؤدي إلى اكتشاف تلك المناسبات الكامنة في النص، فيختلف المفسرون من ناحية استعمال الطريقة والكيفية التي تساعد على اكتشاف تلك العلاقات فكل واحد منهم يقيمه على نمط ومعطيات خاصة مختلفة عن الأخرى.[3]

المطلب الثالث: التأليف في علم المناسبة.

أشار الزركشي إلى أن علم المناسبة يضرب بجذوره إلى القرن الرابع هجري، هذا حسب ما رواه "أبو الحسن الشهرباني" والذي قال بأن أول من ظهر على يده علم المناسبة في بغداد هو الشيخ الإمام "أبو بكر النيسابوري" ولم يشهدوا بذلك لغيره، إذ لم يسمعوا بهذا العلم إلاّ من طرفه،

[1] ينظر، عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام، المطبعة الحميدية، ط1، 1388هـ، ص58.

[2] ينظر، نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط6، 2005، ص160.

[3] ينظر، المرجع نفسه ، ص160.

إذ كان نابغة وعالما وذو علم كثير وغزير في كل من الشريعة والأدب، إذ كان كلما ذكرت عليه آية يتعجب ويطرح مجموعة من التساؤلات لماذا جاءت هذه الآية جنب هذه؟ ما العلاقة بينهما؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة جنب هذه السورة؟ إذ كان ينتقد علماء بغداد لتقصيرهم في معرفة هذا العلم القيم.[1]

ثم إن عدم تنبههم للمناسبة، وعدم علمهم بها على حسب ما قاله يعود لدقتها وعدم وضوحها وخفائها، وهذا ما أكده "الزركشي" بقوله «قد قل اعتناء المفسرين بهذا العلم لدقته، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط».[2]

وهذا القول يوضح عدم علم المفسرين بهذا العلم الدقيق، إذ وجب فيه الحذر وذلك لتعقله بالقرآن الكريم، وحتى تظهر المناسبة والعلاقات بين الآيات والسور لابد للمفسرين التغلغل في النص القرآني وإعمال أعماق فكره.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقط، بل ظهر علماء ومفسرين من عمالقة المفكرين إذ أعملوا فيه فكرهم، وكرّسوا له جهودهم، وظهر من جديد مع أمثال الشيخ "أبي حيان" و"أبو جعفر بن الزبير" وكذا تفسير الإمام فخر الدين.[3]

وأضاف "السيوطي" عددًا أخر من العلماء الذين شغلوا بالمناسبة بقوله: « ومن أهل العصر الشيخ "برهان الدين البقاعي" (ت885هـ) في كتابه سماه نظم الدرر في تناسب الآية والسور وكتابي الذي صنعته في أسرار التنزيل كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات... وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سميته "تناسق الدرر في تناسب السور"».[4]

---

[1] ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص36.

[2] المرجع نفسه، ص36.

[3] ينظر، المرجع نفسه ، ج1، ص35.

[4] السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، ج3، ص322.

وقد ذكر السيوطي هنا أحد أهم العلماء الذين بحثوا في المناسبات وأولوا لها اهتمامًا كبارًا الا وهو البقاعي والذي ألف كتاب خاص بعلم المناسبة وهو نظم الدرر، إذ يعتبر من أهم المصادر في هذا العلم، وأضاف السيوطي بذكر كتابه الخاص بالدراسة والبحث في أسرار التنزيل إذ جمع فيه مناسبات كل سور وآيات المصحف الشريف.

وقد كان العلماء على دراية وعلم بأنه من الممكن الاعتراض على هذا العلم الجديد وذلك راجع إلى الاستدلال بأن القرآن نزل في أماكن مختلفة وأزمنة متباينة.[1]

وقد نقل الزركشي عن بعض مشايخه أنه فنّد الاعتراض، بقوله: «قد وهم من قال: لا يطلب للآية الكريمة مناسبة لأنها حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوفيق».[2]

فها هو هذا الشيخ يدحض ويعترض على فكرة معارضته هذا العلم والوقوف ضده، فيرى أن من يعترض على هذا العلم ففكره خاطئ ومن يقول بأنه لا يوجد للآية مناسبة فهو متوهم، فالسور والآيات كلها مرتبة بالتوفيق ولا بد من وجود علاقات وتناسب فيما بينها.

وهذا الخلاف القائم حول العلماء والمفسرين في قضية الترابط والتماسك ما هو إلا دليل على وعيهم وإدراكهم لقضية المناسبة، فقد علموا أن القرآن بالرغم من تباين أوقات وزمن نزوله لكنه يشكل كتلة واحدة متماسكة ونصبًا واحدً منتظمًا، فالنص القرآني وإن كانت مقاطعه تدل على وقائع متفرعة لكنه يعتبر نص لغوي خاص ومميز إذ يكمن إعجازه في نظمه وترابطه وإيجاد علاقات وطيدة متينة ومتكاملة بين مقاطعه، وهو ما يبحث عنه علم المناسبات.[3]

[1] ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص166.

[2] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص37.

[3] ينظر، نصر حامد أبو زيد مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ص161.

ويرى "الفقي" بأن ما يوحى على تماسك القرآن وترابطه ووجود المناسبة بين الآيات والسور يعود لنزوله جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، بالإضافة إلى أنه نزل في ليلة واحدة، وبعدها نزل منجمًا على الرسول متواترًا.[1]

أما بالنسبة لعلماء النص أو علماء النصية فقد أغفلوا نهائيًا عن قصد أو عن غير قصد، ذكر هذا العلم بالرغم من وجود علاقة وطيدة بين المناسبة والتماسك النصي الذي يعتبر أحد أهم المحاور التي يدرسها النصييون ويوظفونها في نظرياتهم وتطبيقاتهم، إذ تساهم المناسبة بشكل كبير في تحقيق التماسك والترابط النصيين.

وقد أكد ذلك "الفقي" بقوله بأن علماء النص قد غفلوا وسهوا وأهملوا هذه الوسيلة التي تساهم وتعين في تحقيق التماسك النصي.[2]

موضحًا الفقي بأن إضافتها كانت مقترحًا من الباحثين العرب المهتمين بعلم النص من أمثاله وأمثال محمد خطابي، فيصرح بأنه عندما يعتمدون على المناسبة ويوظفونها فإنهم يضيفون وسيلة مهمة وطريقة ناجعة في تحقيق التماسك والترابط والتلاحم النصيين شكليًا ودلاليًا.[3]

المطلب الرابع: دور المناسبة في تماسك النص القرآني (أهميتها).

تستعمل المناسبة كطريقة ووسيلة للكشف عن التماسك اللفظي والمعنوي بين آيات وسور القرآن الكريم، حتى يتبين أنه تشكل وحدة نسقية، فهو بناء لغوي وفكري شامل ومتكامل، مستقل بذاته، وقد تفطَّن المفسرون وعلماء القرآن إلى ذلك وعملوا على اكمال هذه الأداة التفسيرية لاستنباط واستنتاج قصد ومراد الله تعالى من الخطاب القرآني، والدليل على إدراكهم لهذا تأليفهم وتفسيرهم للقرآن الكريم (القرآن بالقرآن) والذي يعتبر أولى مصادر التفسير فتفطنوا لهذه

[1] ينظر، الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج2، ص89.
[2] ينظر، المرجع نفسه، ص185.
[3] ينظر،المرجع نفسه ، ص93.

الوحدة النسقية، إذ لا يمكن فهم النص القرآني بعيدًا عن سياقه، إذ لابد من معرفة وإدراك ما قبل النص، أي ما يسبقه وما يلحقه.

ولابد في المناسبة من وجود علاقة بين المتناسبين في النص القرآني وقد تكون هذه العلاقة ظاهرة يسهل اكتشافها، أو غير ظاهرة لابد من البحث عنها؛ والعلاقة تقضي المرجعية وذلك على حد تعبير السيوطي، فلا بد من مرجعية أحد المتناسبين إلى الأخر، وهذه العلاقات وهذا التفاعل بين العناصر هو ما يؤدي إلى تحقيق التماسك في النص القرآني، ويظهر الشكل الموالي إسهامات المناسبة في التحليل النصي وعلاقتها بالتماسك.

المناسبة ⟵ العلاقة ⟵ المرجعية ⟵ التماسك[1]

فالمناسبة تؤدي وبالضرورة إلى وجود علاقة والتي بدورها تجعلنا نبحث مرجعية حتى نصل لتماسك النص والحكمة من نظمه وإلتحامه.

وفي ذكر الزركشي "لأبي بكر النيسابوري" في طرحه لأسئلة حول الحكمة في جعل الآية جنب أختها والسبب في جعل السورة تحاذي أخرى.[2]

أليس تساؤله هذا بحث عن المناسبة بين الآيات و بعضها وبين السور وبعضها؟ ألا يوصل هذا التساؤل إلى الكشف عن ترابطها وتماسكها؟

وجاء كلام "الزركشي" ليثبت ويعلن الفوائد التحليلية الكامنة في معرفة مناسبة نصه والذي يرى فيه أنه جعل مقاطع الكلام مترابط وأخذ ببعضه البعض ومتكامل، وهذا ما يؤدي إلى تقوية الالتحام وتنميته وقد شبه التأليف بهذا الشكل بالبناء المتراص، المحكم والمبين موحد الأجزاء ملتئم متلائم[3]

[1] ينظر، المرجع السابق، ص99.

[2] ينظر: الزركشي، الرهان في علوم القرآن، مج1، ص36.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص36.

إذ يتحدث السيوطي عن توالي واتفاق في نحو النص ألا وهو الترابط النصي أو التماسك إذ يقول: «إذا وردت سورتان بينهما تلازم واتحاد فإن السورة الثانية تكون خاتمتها مناسبة لفاتحة الأولى للدلالة على الإتحاد».[1]

فهنا يشير إلى التماسك بلفظي التلاز و الاتحاد والذي يتحقق في حال ما إذا كان هناك مناسبة بين فاتحة السورة الأولى وخاتمة الثانية.

والتماسك النصي هو وجود علاقة سواءً أكانت لفظية أو معنوية من مكونات النص أجزاء أو جمل أو مقاطع، وكل من العلاقتين تؤدي مهمة تفسيرية إذ لها دور مهم في تفسير النص، ففي حين وجود علاقة معنوية بين عنصرين في النص، وبين عنصر ثالث يكون وجوده ضروريا ولازمًا لتفسير هذا النص يتحقق التماسك والترابط.[2]

[1] محمد عامر محمد، أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني، جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، كلية الآداب، 1432هـ/2011م، ص165.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص165.

المبحث الثاني: أنواع المناسبة.

لقد تولى الباحثين العرب مهمة الكشف عن المناسبة وذكر أنواعها، وذلك بالنسبة للمهتمين بعلم اللغة النصي من أمثال "محمد خطابي" في كتابه (لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب)، و"صبحي إبراهيم الفقي" في كتابه (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق)، وذلك ببحثهم المستفيض في التراث العربي بناءً على جهود الأوائل، ويبرز الفقي من خلال قوله بأن ذلك الاهتمام بتطبيق أنواع المناسبة والرجوع إلى أراء ودراسات علمائنا القدماء يعود إلى عدم ذكر علماء النص لأهمية المناسبة.[1]

وللمناسبة في القرآن الكريم أنواع عديدة، فمنها ما يتعلق بالدلالة الحاصلة من تأليف الكلام على مستوى السور والآيات، و منها ما يتعلق بالألفاظ المفردة أو المركبة من حيث الشكل أو المعنى داخل السياق، منها الصويتة واللفظية .

المطلب الأول: المناسبة المتعلقة بالألفاظ:

أبدع القرآن في اختيار ألفاظه، فوضع كل كلمة موضعها اللائق بها الذي يتناسب مع معناها أشد التناسب، إذ يرى "الرافعي" أن كل لفظ مختار بدقة ويكون ساكن ومستقر في مكانه فهو الأنسب له في النظم، وهذا أحد أوجه الإعجاز، فإن تغير مكانه لن يدل على ما كان عليه، وفي ذلك المكان المختار له والموضوع فيه يعطي معنى أوسع ودلالة أقوى، ويكون ذلك الأكثر مناسبة لآية أكثر إبانة وإفادة، والأتقن والأجود من حيث توصيل المقصود، وبذلك تظهر روعة البلاغة.[2]

ومن خلال هذا الاختيار الدقيق للألفاظ تأتي كل آية حافلة بالفكرة العميقة والمعنى البعيد شريطة عدم استخدام لفظ مكان لفظ آخر.

---

[1] ينظر، الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج2، ص93.

[2] ينظر، مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ص175، 176.

وفي هذا الصدد يرى "ابن عطية"، أن في كتاب الله لو غيرت لفظة مكان أخرى لن يتحقق المقصود لأنه لا يوجد لفظة تأتي وتحل محلها فيرى أن سبب ذلك لعدم بلوغها لمرتبة العرب آنذاك، في فصاحتهم ولغتهم المبهرة التي أنزل من أجلها القرآن حتى يعجزهم فيما يمهرون.[1]

وفي نظم القرآن لابد من مراعاة الألفاظ داخل الجمل لتوخي المعاني، إذ يجب اختيار أكثر الألفاظ مناسبة وأفصح في الدلالة على المقصود والأكثر بلاغة في التصوير ونسج المعنى، والأنسب لتماسك النسق، وأعذبها وأكثرها دقة وتذوقًا.[2]

فالقرآن يختار كما أسلفنا ألفاظه بعناية فائقة اختيار تتنوع من خلاله المناسبة المتعلقة باللفظة وتتمثل هذه الأنواع فيما يلي:

أ- المناسبة الصوتية:

تتفاعل الأصوات اللغوية في الكلام وتتأثر ببعضها البعض، حتى في الكلام العادي الذي لا يوجد فيه تكلف، وقد تؤثر أصوات الكلمة الواحدة في بعضها، وفي حال وجود كلام متواصل فاتصال هذه الكلمات تخضع لهذا التأثير ويؤدي هذا إلى تغيير بعض الأصوات، بحيث تتداخل وتتساوى فيما بينها، وهذه المماثلة هي عبارة عن تعديلات للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى، وهذه المماثلة هي ما يسميه علماء النص بالمناسبة الصوتية وهي نوعان: إما مماثلة تجاورية أو مماثلة تباعدية، فالأولى تكون بين أصوات متجاورة قريبة من بعضها ، والثانية تكون فيها الأصوات غير متجاورة.[3]

[1] ينظر، نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت، ص95.

[2] ينظر، الرافعي إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص159، 160

[3] ينظر، مصطفى شعبان عبد الحميد، المناسبة في القرآن، المكتب الحديث، الإسكندرية، ط1، 2007، ص42.

وقد ضرب "السيوطي مثالاً لذلك في القرآن الكريم، واستدل بقوله عز وجل ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾[1] ، إذ يقول السيوطي في هذا أن: سلاسلا جاءت ... لتناسب أغلالاً.[2]

ومن أشهر مظاهر المناسبة الصوتية تكمن في الفاصلة القرآنية، والتي تحقق معنى التناسب الصوتي، فمهمتها هي إحداث التناغم الموسيقي في الآيات، وذلك بالإتيان بخواتم الآيات طبقًا لاختيار أسلوبي لتناسب مع رؤوسها.

يقول الرافعي: «هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن ما هي إلاّ صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقًا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس واردة في العجب مذهب».[3]

فيرى أن هذه الفواصل والتي تكمن في نهاية الآيات، تعد أحد مظاهر المستوى الصوتي للعبارات، إذ تولد نغم وجرس موسيقي بحيث يتناسب وموضوع الآية، ويرى أن هذا شيء عجيب ليس مثله شيء.

ولعلك تراها تنتهي بحروف معينة في أغلب الأحيان، إذا يقول: «وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها أو بالمد، وهو كذلك طبيعي في القرآن فإن لم تنته بواحدة من هذه كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى... وأليف بموضعه».[4]

ويرى أن أغلب ما تنتهي به الفواصل القرآنية يكون بثلاثة حروف الألف أو الميم أو النون، فهذه تعتبر حروف طبيعية في القرآن الكريم، إن لم تنته الآية بأحد هذه الحروف وانتهت بحرف آخر فلا بد أن يكون ساكنًا وذلك أكثر مناسبة للآية وأحسن لها.

---

[1] سورة الإنسان، الأية4.

[2]- ينظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج2، ص273.

[3]- الرافعي إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص153، 154.

[4]- المرجع نفسه، ص153، 154.

وفي بعض الأحيان لتحقيق المناسبة الصوتية في الفواصل، يخرج الأمر عن المألوف، ويكون ما يجب أن يكون عليه، فيحدث تقديم أو تأخير أو زيادة حرف، ومثال ذلك في قوله تعالى ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[1] . إذ ألحق الألف بالنون لتساوي المقاطع، والأصل فيها «الظنون» فقد زيدت لأن مقاطع فواصل هذه السورة ألفات منونة.[2]

وقد نقل "السيوطي" عن "شمس الدين ابن الصائغ" صاحب كتاب «إحكام الرأي في أحكام الآية» قوله: «اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتكب لها أمور في مخالفة الأصول وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآية مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف... عن الأربعين حكم».[3]

إذ يرى أنه لابد من المناسبة في اللغة العربية، إذ تعد أحد مظاهرها اللغوية ، و تقوم على قواعد وقوانين، وبعد دراساته على أواخر الآيات القرآنية وجد أزيد من أربعين وجه للمناسبة الصوتية في الفواصل.

وللفواصل تأثير عجيب في أسماء البشر، وهذا ما يميز القرآن الكريم وأسلوبه الذي يعمد إلى تناسق الجرس الموسيقي بين الفواصل، حتى يحلى في أذن سامعه فيتغلغل بسهولة إلى قلبه ، وهذا ما يؤدي به إلى تذوق القرآن وتدبره والتعلق به.

[1] سورة الأحزاب، الأية10.

[2] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص61.

[3] السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج3، ص296.

ب- المناسبة اللفظية:

لقد قسم "ابن ابي الأصبع المصري" (ت654هـ) المناسبة إلى قسمين: مناسبة لفظية وأخرى معنوية.[1]

المناسبة اللفظية: هي استحضار مفردات مستقيمة دقيقة ومتزنة، وتنقسم إلى ضربين تامة، و غير تامة والاختلاف بينهما يعود إلى التقفية.[2]

التامة: وهي أن تكون الكلمات والمفردات متزنة ومقفاة، وذلك مثل قوله عز وجل: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ، وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾[3]، فقد ناسب بين يسطرون ومجنون وممنون في نهاية الكلمات بحرفي الواو والنون، بهدف التأثير في المتلقي[4]، وهذا من الفصاحة العجيبة.

غير تامة: وهي أن تكون مجموع لفظات متزنات غير مقفاة، ومن شواهد هذه المناسبة غير التامة أو الناقصة في الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾[5] ، فناسب بين (المجيد) و(عجيب) للتقارب اللفظي بين حرفي الدال والباء.[6]

---

[1] ينظر: ابن أبي الأصبع ا لمصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ط)، 1416هـ-1995م، ص363.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص 367.

[3] سورة القلم ، الأيات 01-03.

[4] ينظر، محمد عامر محمد، أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني، ص14.

[5] سورة ق، الأيتين 1- 2.

[6] ينظر ، محمد عامر محمد، أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني ، ص 14.

ج- المناسبة السياقية:

وهي المناسبة المتعلقة باللفظ من جهة السياق، ويقسم معظم اللغوين السياق إلى نوعين: سياق لغوي وسياق اجتماعي، فالأول يهتم بالمفردة عند وجودها في الجملة، والثاني يهتم بها عندما تقال أي في موقف أو مقام معين وهو ما سمي بسياق الحال.[1]

1- المناسبة بين اللفظ وسياق الحال:

أحد أوجه التناسب اللفظي في القرآن الكريم يكون مع سياق الحال أو المقام الذي يرد فيه، ويكون ذلك على ضربين أو مستويين:

مستوى اللفظ المفرد: يتناسب اللفظ المفرد مع سياق الحال أو المقام الذي يرد فيه ومنه، في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾[2]، فآثر يوسف عليه السلام لفظة (السجن) على (الجب) بالرغم من أن الله أحسن إليه وأخرجه من الجب قبل السجن، فيوضح أبو حيان هذا ويقول أن النبي يوسف عليه السلام فعل ذلك تناسيًا لما فعله إخوته وذلك يدل على صفحه عنهم.[3]

ب- مستوى اللفظ المركب (الجملة).

يحدث التناسب أيضا بين الجملة سواءً أكانت اسمية أو فعلية مع السياق الاجتماعي، ويظهر استعمال الجملتين ومناسبتها للمقام في قوله تعالى على لسان زكرياء عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾[4] ، فقد جاءت الجملة الأولى فعلية، لأن الفعل يدل على التجدد والحركة والتغير، وكذلك هو الحال للكبر إذ يتجدد ويكبر شيئًا فشيئًا،

[1] ينظر، مصطفى شعبان المصري، من الإعجاز اللغوي في القرآن، دراسة لغوية أسلوبية في مناسبة اللفظ لسياق الحال،تق، عبده الراجحي، المكتب الجامعي الحديث، د.ط، 2013، ص15

[2] سورة يوسف، الأية 100.

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص30.

[4] سورة آل عمران، الأية40.

فجاءت الجملة اسمية، ولأن الاسم يدل على السكون والثبوت فقال عاقر أمر ثابت، فحسب الموقف والحال ناسب أن تكون الأولى جملة فعلية والثانية إسمية.[1]

2- المناسبة بين اللفظة والسياق اللغوي:

يستعمل القرآن في بعض الأحيان ألفاظ دون أخرى، والتي يرتبط فيها اللفظ بالسياق ارتباط دلاليًا، ومنه، فهو دليل لوجود علاقة ما أو تماسك دلالي معين أو غيره ويأتي أيضا على مستويين، مستوى اللفظ المفرد والمركب[2].

أ- مستوى اللفظ المفرد:

هو أكثر الأنواع انتشارًا في القرآن الكريم وينقسم إلى قسمين:

1- المناسبة بين اللفظ ودلالة السياق اللغوي:

يرتبط فيه اللفظ بالسياق ارتباط دلاليًا ومنه مجيء أحد ألفاظ مقدمًا في أحد المواضع ومؤخرًا في مواضع أخرى وذلك يعود لعلة دلالية يستلزمها السياق، ونذكر مثال في قوله تعالى﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[3] ، فقد قدم الأرض عن السماء وفي حين وجب العكس، ولكن ذلك يعود لما ذكر الله عز وجل علمه بشؤون البشر وأهل الأرض عامة استوجب ذلك التقديم.[4]

2- المناسبة بين اللفظ وبنية السياق اللغوي:

بنية السياق تعني ذلك النظام الذي يسير عليه السياق، فإن اضطرب أعرض وصد عنه السمع والذوق الأدبي السليم، إذ يقول عز وجل ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ

[1] ينظر ، مصطفى شعبان المصري، من الإعجاز اللغوي في القرآن، ص32.

[2] ينظر، مصطفى شعبان عبد الحميد، المناسبة في القرآن الكريم، ص49.

[3] سورة يونس، الأية 61.

[4] ينظر، مصطفى شعبان عبد الحميد، المناسبة في القرآن الكريم ، ص50.

سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ، قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾[1] ، فقد جاءت لقطة موسى مؤخرة لتحافظ على الإيقاع، فلو غير النظم وقال «فأوحى موسى خفية في نفسه قلنا لا تخف إنك انت الأعلى»، فيضطرب سمع المتلقي لأن هذا عكس النظم والتذوق السليم).[2]

وهذا العدول في الفواصل ليس للحفاظ على تناغم الإيقاع الموسيقي فحسب وإنما لما لها من دور في إبراز المعنى الكلي للنص القرآني، فهي تحمل دلالتين في آن واحد، دلالة نابعة من اللون الموسيقي المتكرر والأخرى من المعنى العام للآية، حيث تأتي الفاصلة في الآية منسجمة مع المعنى الذي تتضمنه الآية ومتممة له.[3]

ب- مستوى اللفظ المركب:

وقد ذكر "مصطفى شعبان" مثال في ما ذكر "السكاكي" في قول الله عز وجل ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[4]، فهنا حدث تفاوت في الجملة الإسمية والفعلية، فالأولى جاءت فعلية بمعنى دخلنا في الإيمان، وجاءهم الرد من الله وذلك بقوله " وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ" فجاءت اسمية وهذا يدل على ثبوتهم على الكفر، وقد أثبت ذلك في الآية التي يقول فيها عزّ وجلّ ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُواْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ فناسبت الجملة الفعلية هذه الآية لما جاء في الجملة الفعلية للآية الأولى (أمنا)، والمقطعين الثانيين لكل من الآيتين والذي يتمثل في الجملة الإسمية وما هم بمؤمنين وثبت ذلك في الآية الثانية بـ "إنا معكم"، فهذا التفاوت في الجمل مناسب للسياق.[5]

---

[1] سورة طه، الأيتين 66-68.

[2]- ينظر، مصطفى شعبان عبد الحميد، المناسبة في القرآن الكريم ، ص52.

[3]- ينظر، المرجع نفسه، ص52، 53.

[4] سورة البقرة، الأية 8.

[5]- مصطفى شعبان عبد الحميد، المناسبة في القرآن الكريم ، ص49، 50.

المطلب الثاني: المناسبة المتعلقة بالدلالة الحاصلة من التأليف.

تنقسم هذه المناسبة إلى قسمين:

- مناسبة على مستوى فوق السورة أي بين سور القرآن.
- مناسبة على مستوى السور أي بين الآيات في السورة الواحدة.

فهذا النوع من المناسبات والذي يتعلق بالدلالة الحاصلة في التأليف قد لفت نظر العديد من المؤلفين، فقد ألفوا كتبهم تحت عنوانها، واتخذوها وسيلة وآلية لدراسة التماسك في النص القرآني إذ نذكر منهم "برهان الدين البقاعي" صاحب أشهر مؤلف في هذا المجال (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) وكذلك (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور)، و"جلال الدين السيوطي" بكتابيه (الإتقان في علوم القرآن) و(تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور)، وآخرون فوجودهم في هذا المجال غني عن التعريف.

لقد كرس علماء التفسير والنحويون جهودهم ودراساتهم في خدمة هذا العلم ولعل الدافع الذي جعلهم يدرسون المناسبات القرآنية هو البحث عن أوجه التلاؤم والترابط بين أجزاء القرآن الكريم، فأوجد عدة أنواع للمناسبات في القرآن وهذا ما ساعد السيوطي في دراسته، بدون غض النظر عن فضله إذ كانت له الأولوية في بيانها وحسن ترتيبها، بالرغم من أنه لم يفصل بين المناسبة في السورة الواحدة والمناسبة بين السور وكان تقسيمه كالآتي:

- بيان أن للسورة مناسبة لترتيبها في المصحف الشريف ولوضعها حكمة.
- بين أن ما أجمل في سورة ما، تأتي السورة التي بعدها شارحة ومفسرة لها.
- وجود علاقة بين فاتحة السورة مع خاتمة السورة التي تسبقها.
- براعة الاستهلال والذي يتمثل في مناسبة مطلع السورة لمقصدها العام.
- مناسبة أوائل السورة لخواتيمها.
- ارتباط وتلاحم وتناسب الآيات وترتيبها.
- مناسبة الفواصل للآيات التي ضُمَّت إليها.
- مناسبة اسم السورة للسورة نفسها.[1]

[1] ينظر: الفقي، علم اللّغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج2، ص94-95.

المبحث الثالث: أقسام المناسبة.

المطلب الأول: ترتيب سور القرآن وآياته توقيفي.

لما كان علم المناسبة أمر اجتهادي من المفسرين وجب تطلبه، ولدراسته وإمكانية القول بوجود المناسبات بين السور والآيات، لابد من معرفة أن ترتيب سور وآيات القرآن أمر توقيفي حتى تستنتج الفوائد وتستنبط الأحكام.

أ- ترتيب الآيات توقيفي:

لقد أجمع العلماء على أن ترتيب الآيات في السورة الواحدة أمر توقيفي لا وجود فيه للاجتهاد، وقد دلّ على ذلك الكثير من أقوال العلماء فمن ذلك قول مكيٍّ وغيره بأن: «ترتيب الآيات في السورة بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة»[1].

فهم يؤكدون على أن الترتيب لم يحصل إلا بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم، وقد استدلوا بعدم ذكر البسملة في سورة التوبة، وذلك لعدم أمرهِ صلى الله عليه وسلم لهم بكتابتها.

وقد أكد "القاضي أبو بكر" أن ترتيب الآيات أمر لازم لا نقاش فيه ولا اختلاف، وذلك خضوعًا لأمر الله على لسان جبريل إذ كان يقول أين توضع كل أية وما ترتيبها، فلا اجتهاد في هذا لا من النبي صلى الله عليه وسلم، ولا من ناحية الصحابة.[2]

فأشار أيضًا إلى أن القرآن الكريم المجموع في مصحف عثمان بن عفان هو أجود مصحف، فقد طبق الترتيب كما أمروا، فثبتَ رسمه، ولم يتصرف فيه فلم يرد عنه ولم ينقصه عليه آية، فكان

[1] أبي بكر السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، ج2، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية. د.ت، ص401.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص402.

نظمه ثابت، ولم يقدم ولم يؤخر، وقد أخذ ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ضبطًا وترتيبًا فلم يتولى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بل أمر أصحابه بذلك.[1]

وفي هذا الصدد ينقل ابن وهب قول مالك، بأن القرآن قد ألفّ على ما كان يسمعه الصحابة وغيرهم ممن صدقوا أن ذاك من النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يتصرفوا فيه ولو بحرف، وكتبوه خوفًا من نسيانه أو ذهابه بعد ذهاب حفظته، فكان اجتهاد الصحابة في جمعه وليس في ترتيبه لأنهم لُقِنوه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرتبًا كما هو في المصحف الشريف بتوقيف جبريل إياه على ذلك، بحيث نزله الله تعالى جملة واحدة إلى السماء، وبعدها نزل متفرقًا حسب الحاجة والحوادث والوقائع.[2]

ومن الأدلة ما أخرجه الحاكم في المشترك، قول "زيد بن ثابت" بأنهم كانوا يرتبون القرآن كله، آياته وسوره بإشارة من النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيفه، ويذكر عثمان بن أبي العاص أنه في أحد المرات وهو جالس عند النبي صلى الله عليه وسلم، إذ شخّص بِبصره حتى اِتسعت عيناه دون أن تطرف، ثم رجع ببصره وذلك من علامات نزول الوحي عليه، إذ قال صلى الله عليه وسلم أن جبريل أتاه وأمره بوضع الآية التي تقول ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾[3]،في سورة النحل وهذا دليل على أن الأمر توقيفي من الله عز وجل.

ولابد للآيات في السورة الواحدة أن تكون متماسكة موحدة الموضوع، ولها وجه مناسبة، وخاصة قصار السور، لأنها تتحدث عن موضوع واحد معين، فلابد للسياق ان يكون موحدًا، إلا إذا وجد موضوعًا آخر بحيث يكون ذا علاقة بالموضوع الأول، وهذا يحدث في الآيات التي تنزل عبر فترات متباينة، إذ لابد من التدبر وإعمال العقل لإيجاد وجه التناسب بينها.[4]

---

[1] ينظر، المرجع السابق، ج ن، ص 402.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ج ن، ص 403.

[3] سورة النحل، الأية 90.

[4] ينظر، مصطفى شعبان عبد الحميد، المناسبة في القرآن الكريم ، ص69.

ب- ترتيب السور توقيفي:

على عكس الاتفاق الذي جاء في موضوع ترتيب الآيات على أنها أمر توقيفي، كان الاختلاف حول ترتيب السور ما إن كان توقيفيًا أم اجتهاديًا، ولتحقيق المناسبة بين السور لابد من تأكيد أن الأمر توقيفي، ولا دخل للبشر فيه، وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء، بأدلة قاطعة، أما من عارضوا هذا القول فقد استدلوا بأحاديث ضعيفة جدًا، هذا ما سنوضحه فيما يأتي.[1]

فقد قالوا أن بعض المصاحف لم تكن مرتبة كرسم عثمان رضي الله عنه، وذكروا أن مصحف علي رضي الله عنه قد افتتحه بسورة اقرأ، تليها المدثر وبعد المزمل إلى أخره، إذ يروا أنه رتب حسب زمن النزول، ومنهم من استند على حديث يقال أنه ضعيف أو لا أصل له وهذا ما ذكره البخاري، إذ يقول هذا الحديث والذي نسب ليزيد الفارسي، إذ حدثهم ابن عباس رضي الله عنه عندما سأل عثمان بن عفان عن سبب وضعهما لسورتي الأنفال والتوبة جانب بعضهما، فأجابه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد توفي ولم يخبرهم عن ترتيبها كما فعل في السور التي سبقتهم، وقد ظهر لعثمان رضي الله عنه أنهما متشابهتان من حيث القصة فقرنهما ببعضهما وهذه الرواية لا تقوم على حجة.[2]

أما جمهور العلماء ومعظمهم فقد رأوا أن ترتيب السور توقيفي وهذا ما حملهم على دراسة وجه التناسب بينهم والحكمة من هذا الترتيب فاستندوا على أدلة وبراهين قاطعة.

قال أبو بكر بن الأنباري لتوقيفية ترتيب السور، إذ أنزل الله القرآن في مرة واحدة إلى السماء ثم فرقه في عشرين عامًا وما يزيد عنه بقليل فكانت تنزل السورة لتتحدث عن موضوع ما، والآيات بمثابة الجواب لتلك الأحداث، وترابط السور مثله مثل ترابط الآيات واتساقها، وهذا كله ما جاء

[1] ينظر، المرجع السابق، ص78.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص78-80.

عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومن تصرف في ذلك تقديمًا أو تأخيرًا حينها سيضطرب ترتيب القرآن ونظمه.[1]

ويصرح الكرماني إلى أن هذا الترتيب مضبوط في اللوح المحفوظ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في كل سنة يظهر على جبريل عليه السلام ويعرض عليه ما اجتمع عنده من القرآن وفي السنة الأخيرة والتي توفي فيها خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، عرضه عليه مرتين وأخرُ آية نزلت قوله عز وجل ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[2] ، فطلب منه جبريل عليه السلام أن يضعها بعد آية الربا مباشرة وقبل آية الدين أي بينهما.[3]

وفي حديث للبخاري إذ قال «أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ "قل هو الله أحد" و"المعوذتين"».[4]

وهذا الحديث حديث صحيح وهو كما أمرنا صلى الله عليه وسلم بفعله قبل النوم، فقد جاء هذا مرتبًا سورة الإخلاص وتليها المعوذتان كما هو في المصحف الشريف.

وذكر ابن حجر أن ترتيب بعض السور ونظمها توقيفيا، وقد استدل في ذلك بحديث لأبي داود وأحمد في قوله لأوس بن أبي أوس حذيفة الثقفي نسبة إلى ثقيف والذي يقول فيه "فقال لنا رسول لله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّهُ طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبِي مِنْ الْقُرْآنِ، فَأَرَدْتُ أَلاَّ أَخْرُجَ حَتَّى أُقْضِيَهِ﴾...(قلت: ومما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاءً وكذا الطواسين ولم ترتب المسبحات ولاءً، بل فصل بين سورها وفصل بين طسم الشعراء، وطسم القصص بطس مع أنها أقصر منهما ولو كان الترتيب اجتهاديًا لذكرت المسبحات ولاءً وأخرت طس عن القصص".[5]

---

[1] ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص406، 407.

[2] سورة البقرة، الأية281.

[3] ينظر، مصطفى شعبان عبد الحميد، المناسبة في القرآن الكريم ، ص407.

[4] المرجع نفسه، ج.ن، ص409.

[5] المرجع نفسه، ج.ن، ص410، 411.

وهذا يدل على أن السور التي تتشابه في فواتحها جمعت مرة بجانب بعضها، وسور أخريات فرقت في مرة أخرى وذلك ما دل على أن الترتيب توقيفي وليس باجتهاد، فقد جاءت السورة المفتتحة بـ (حم) أو ما تسمى بالحواميم كغافر، فصلت، الشورى، الزخرف الواحدة تلو الأخرى، وكذلك هو الحال بالنسبة للسور التي تبدأ بـ (ألم) مثل العنكبوت، الروم، لقمان والسجدة عكس المسبحات والتي تبدأ بـ (سبّح، يسبّح، سبحان) مثل سورة الأعلى والاسراء والتغابن، فلو كان الأمر اجتهاديًا فإن العقل يقتضي جمعها مرتبة ومتتالية.

المطلب الثاني: المناسبة على مستوى فوق السورة.

لقد ألف في هذا القسم العديد من العلماء من أمثال "أبو جعفر بن الزبير الأندلسي الغرناطي" (ت708هـ)، ولقد اتفق العديد من جاء بعده على أنه أول من وضع تصنيفًا مستقلاً في تناسب السور وله في هذا مؤلفه: (البرهان في ترتيب سور القرآن) فقد اهتم بوجوه ترتيب السور.[1]

وبعده "جلال الدين السويطي" (ت911هـ) في كتابه (تناسق الدرر في تناسب السور)، تناول فيه ثلاثة عشر نوعًا من علوم القرآن وخصص ستة أنواع للمناسبة سواء بين الآيات أو السور وقد ذكر أنه جزء من كل أسماه "أسرار التنزيل".[2]

ويذكر في خاتمته "وهذا آخر ما من الله به علي من استخراج مناسبات ترتيب السور وكله من مستنبطاتي ولم أعثر فيه على شيء لغيري إلاّ النزر اليسير الذي صرحت بعزوه".[3]

وإذ يحمد الله فيما قد ألف واستنبط العديد من الأحكام في ترتيب السور ويصرح أنه لم يسبقه أحد في ذلك.

---

[1] ينظر: ابن الزبير الفرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، تح: محمد شعباني وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1990، ص181.

[2] ينظر: جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، تح: عبد القادر عطا، دار الاعتصام، مصر، د.ط، 1398هـ-1978م، ص65، 66.

[3] المرجع نفسه، ص18.

كما توصل علماؤنا إلى استنباط الآيات التي تترابط بها السور بمعانيهم لإبراز اتساق النص القرآني وانسجامه، ووصولاً إلى هدف أكبر هو فهم القرآن وإظهار وجوه إعجازه.

يقول "عبد الحميد الفراهي": «وبالجملة فمرادنا بالنظام أن تكون السورة كلامًا واحدًا ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بالتي قبلها أو بعدها، وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلامًا واحدًا ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر».[1]

فالنظم عنده هو أن تكون السورة كالكتلة الواحدة أو كما قال كلامًا واحدًا أي في محورها الداخلي، وبعدها يظهر ترابطها للسور التي تسبقها والسور التي تأتي بعدها، إلى أن يحدث التلاحم والانتظام بين أجزاء وسور القرآن كاملة.

كما يقول أنه لابد للكلام أن يكون منتظمًا، مرتبًا ومتناسبًا وذلك لتحقيق التماسك النصي.[2]

أ- علاقة التماسك بين فاتحة السور وخاتمة ما قبلها:

تتعدد أنواع الربط بين السور، وإذا تدبر الإنسان في افتتاح كل سورة وجدها في نهاية المناسبة لما ختمت به السورة التي قبلها، وهذا تناسب يخفى تارة ويظهر تارة أخرة، والظاهري يكون لفظيًا وذلك بالتكرار أو إيجاد مراد اللفظ ويكون أحيانًا عن طريق الاسناد وغيره مثل:

- افتتاح سورة الحديد ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[3]، وختام سورة الواقعة ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[4]، فكأنه أمر بتسبيح الله عز وجل الذي يسبح له كل المخلوقات التي في السماء والأرض.[5]

[1] عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام، المطبعة الحميدية، ط1، 1388هـ، ص86، 87.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص87.

[3] سورة الحديد، الأية 01.

[4] سورة الواقعة، الأية 96.

[5] ينظر مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص82.

❖ كذلك في ختام سورة القمر: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[1]، وفي أول سورة الرحمن: ﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾[2] ، فالملك المقتدر هو الرحمن عز وجل[3]

وهناك علاقات أخرى بينهما كما رصدها الإمام السيوطي مثل:

علاقة الاتحاد والتلازم:

يرى السيوطي في مناسبة سورة الأنعام لأخر المائدة إذ يقول عز وجل: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4] وقد ختمت بفصل القضاء وفتحت الأنعام بالحمد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[5]فهما متلازمان.[6]

ويظهر التلازم أيضا عندما تكون خاتمة السورة الثانية مناسبة لفاتحة السورة الأولى، كما هو الحال بين سورتي البقرة وآل عمران، فقد افتتحت البقرة بذكر المتقين وأنهم هو المفلحون ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ

[1] سورة القمر،الأيتين 54-55.

[2] سورة الرحمن ،الأيتين 01-03.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص ن.

[4] سورة المائدة، الأيتين 119-120.

[5] سورة الأنعام، الأية 01.

[6] ينظر: السيوطي، تناسق درر في تناسب السور، ص83

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، وختمت آل عمران بـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] ، وذلك اتحاد في ذكر المتقين وأحوالهم وفلاحهم.[3]

علاقة التشابه في المطلع:

وقد توصل إلى رصد تماسك شديد بين سورتي "الذاريات" و"الطور" في قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[4] وذكر حال المتقين في الطور كذلك ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[5] وقد ذكر هذا في مطلع في كلا السورتين.[6]

علاقة تماسك نحوي:

بحيث يحدث التماسك بين سورتي "الفيل" و"قريش": ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾[7] ، فهذه الأخيرة شديدة الاتصال بما قبلها لتعلق الجار والمجرور في أولها بالفعل في تلك فكأنها كيان واحد وسورة واحدة.[8]

[1] سورة البقرة، الأيتين 02-05.

[2] سورة آل عمران، الأية 200.

[3] ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص89.

[4] سورة الذاريات، الأية 15.

[5] سورة الطو، الأية 17.

[6] ينظر: رشيد عمران، آليات التماسك النصي (الزركشي والسيوطي أنموذجان)، مقال مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، السنة الثانية، العدد 1، 2011، ص39.

[7] سورة قريش، الأية 01.

[8] ينظر: السيوطي تناسق الدرر في تناسب السور، ص144.

علاقة التقابل:

من أحسن الصور التي تجلى فيها التقابل، كان بين سورتي "الكوثر" و"الماعون"، فقد قوبل بين البخل الوارد في سورة الماعون في قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[1]، بالخير الكثير في سورة الكوثر[2] ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[3].

علاقة بيان العلة:

فقد أشار إلى سورة "التكاثر" التي تقع موقع العلة لخاتمة ما قبلها وهي سورة القارعة والتي قال فيها عز وجل ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ،فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾[4] ، فكأنه قبل لما ذلك فأجاب لأنكم ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[5] ، فقد اشتغلوا والتهوا بدنياهم وملؤوا موازينهم بالحطام أي الذنوب، ففتحت عند علام الغيوب موازينهم وذلك بالآثام التي ارتكبوها، ونسوا دينهم، ثم عقبها بسورة العصر ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[6] ، والتي يذكر فيها أن الإنسان في خسران ونقص وهلاكه إلا الذين أوصوا بعضهم بعضًا بالخير والصبر عن المعاصي والطاعات والابتلاءات وهذا الربح تجارة الآخرة، ثم أعقبها بسورة الهمزة ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ، الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ، كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾[7] ، فهذه تكملة لسورة العصر والتي يتوعد فيها الله لجامع ا لمال ويظن أن ماله سيخلده

[1] سورة الماعون، الأيتين 06-.07.

[2] ينظر: رشيد عمران، آليات التماسك النصي (الزركشي والسيوطي أنموذجان)، ص40.

[3] سورة الماعون، الأية 08.

[4] سورة القارعة، الأيتين 08-09.

[5] سورة التكاثر، الأية01.

[6] سورة العصر، الأيات 01-03.

[7] سورة الهمزة، الأيات01-04.

بطرحه في جهنم الملتهبة التهابًا شديدًا، فهنا يظهر تلاحم واتساق بين مجموعة من السور[1]، وهذا ما لا يقدر عليه إلا الله بالغ الحكمة فسبحان الله العظيم.

علاقة التتميم والتكميل:

كالتي تظهر بين سورة الحاقة والمعارج التي تعتبر تتمة للأولى في وصف القيامة والنار[2]، قال تعالى ﴿الْحَاقَّةُ ، مَا الْحَاقَّةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ،كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾[3] ، والحاقة من أسماء يوم القيامة لأنها تحقق وتنزل بالعباد، وتظهر فيها المخبئات وما فعل، وأتبعها بالمعارج، قال تعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ، لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ، مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ [4]، فكانت لها كالوصف بالرجوع إلى الله، فاستعجلوا أهل الجهالة بالعذاب فيطول عليهم ذلك عكس المؤمنين يخفف الله عنهم، فالله يمهل ولا يهمل.[5]

علاقة التحقيق:

رأي السيوطي بأنه بعد أن اختتمت سورة "الإنسان" بقوله عز وجل ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ، إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ، إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[6] ، فأتبعها بسورة المرسلات التي فتحت بالقسم لقوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا، وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا، فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ،فَالْمُلْقِيَاتِ

[1] ينظر: السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص143.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص128.

[3] سورة الحاقة، الأيات 01-04.

[4] سورة المعارج، الأيات 01-03.

[5] ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص823-826.

[6] سورة الإنسان، الأيات 01-03.

ذِكْرًا، عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ، إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾[1] ، فقد أقسم أن ما يوعدون واقع لا محالة وذلك تحقيقًا لما وعد به –الإنسان– المؤمنين وأعد للظالمين.[2]

علاقة الإجابة عن السؤال:

تفطن السيوطي إلى العلاقة بين سورتي "البينة" و"الزلزلة" بقوله عز وجل: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.... لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[3]، فلما ذكر فيها أن جزاء المؤمنين الجنة وجزاء الكافرين النار، فكأنما قيل ومتى يكون ذلك؟ فأجاب بأنه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا، وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴾[4] ، وهذه الإجابة عن السؤال ويظهر التناسب بينهما فالثانية جواب للأولى[5].

علاقة التعليل:

جاء في سورة التغابن قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[6] ، ولما كانت عداوة الأزواج تفضي للطلاق، وعداوة الأبناء تفضي إلى القسوة وترك الانفاق عليهم، عقب الله ذلك بسورة الطلاق، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ....﴾[7] بحيث وجب الإنفاق

[1] سورة المرسلات، الأيات 01-07.

[2] ينظر: السيوطي، نظم الدرر في تناسب السور، ص131.

[3] سورة البينة، الأيات 01-08.

[4] سورة الزلزلة، الأيات 01-03.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص142.

[6] سورة التغابن، الأية 14.

[7] سورة الطلاق، الأية 6.

عليهن ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾.[1]

علاقة الإجمال والتفصيل:

وفي حالة مناسبة مضمون كل سورة لما قبلها وما بعدها، وقد رأى الإمام السيوطي أن من العلاقات التي تربط السور علاقة الإجمال والتفصيل، فما جمع في سورة فصِّل في السورة التي تليها، فيرى أن سورة الفاتحة قد جمعت وشملت مقاصد القرآن وقد اعتبرت عنوان للقرآن الكريم إذ تجسدت فيها براعة الاستهلال، ومن علم تفسيرها فكأنما جمع بتفسير كل سور القرآن.[2]

ففي سورة الفاتحة قد ذكر أولاً: دعاء المؤمنين العابدون لربهم المستعينون به في الكبيرة والصغيرة وفي ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[3] ، بأن يوفقهم للثبات على الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه فهو الإسلام والصراط المستقيم هو اتباع الكتاب إذ قال في افتتاح البقرة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[4] ؛ وثانيًا: وقد ذكر عز وجل في الفاتحة ثلاثة من الفرق[5] في قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[6] ، فهذه الفرق الثلاثة هي:

- ❖ الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.
- ❖ المغضوب عليهم وهم الذين عرفوا الحق واليقين فتركوه وبدلوه كاليهود وغيرهم من الذين اتبعوا غير الإسلام دينًا وغير الله إلاه.

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص126.

[2] ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص84.

[3] سورة الفاتحة، الأية 6.

[4] سورة البقرة، الأية 2.

[5] ينظر: المرجع السابق، ص84.

[6] سورة الفاتحة، الأية 7.

❖ والطائفة الثالثة وهم الضالين الذين تركوا الحق عن جهل فلم يعلموا به كالنصارى.[1]

وقد فصَّل عز وجل في أحوال هذه الطوائف الثلاثة في سورة البقرة فذكر –الذين هم على هدى من ربهم– وذكر الذين جاءوا بغضب من الله، وذكر الذين اشتروا الضلالة بالهدى فخسروا الدنيا والآخرة.[2]

تعد علاقة التفصيل والإجمال من أهم العلاقات التي بنى عليها السيوطي كتابه وقد أكد بالبينات والحجج والأدلة أن القرآن الكريم متماسك كالكلمة الواحدة وهو كالنص المنتظم المتلائم الملتحم البناء، فرأى أن كل سور مجملة تفصلها السور التي تليها فتفسر ما جاء فيها أو شرحه وتعلله.[3]

إذ ظهر للسيوطي حول العلاقة بين الفاتحة والبقرة وجوهًا أخرى للترابط والتناسب فما أجمل في الفاتحة فصِّل في البقرة، وقد أورد ذلك في كتابه تناسق الدرر ص78–83 وهي كالآتي:[4]

أولا:

مجمل الآية (الفاتحة)	تفصيلها في سورة البقرة
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾	﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [152]. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [186]. ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا ..... إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [182].
﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا ..... وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [21، 22]. ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ..... وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [29].

[1] ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تعبير كلام المنان، ص17.

[2] ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص85.

[3] ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص201.

[4] ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص85.

	وفصلت كذلك في قصة آدم
﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [54]. ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى ..... وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [56]. ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ..... وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [126]. ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [163].
﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ .....عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [284].
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾	فصلت في جميع فروع الشريعة التي وردت في البقرة: الصبر، التوبة، الطهارة، الصلاة، الزكاة، الصوم...إلخ
﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	ورد تفصيلها شاملة في البقرة بحيث عمت جميع علم الأخلاق، الصبر، التوبة، الشكر، التفويض، المراقبة، الرضا.
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	فصلت في ذكر طريق الأنبياء الذي مال عنه اليهود والنصارى ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ..... صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [142]. ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ..... لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [145]. ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ..... إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [213].
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	فصلت ذكر النبيين ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ..... وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [136]. ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ .....وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [137].

1

[1] ينظر: المرجع السابق، ص85.

ثانيا: وقد رأى وجهًا أخر للتناسب وهو الحديث على أن شرح وتفسير «المغضوب عليهم باليهود، والضالين هم النصارى، وقد ذكروا وتمت الإشارة إليهم في سورة الفاتحة بالترتيب وذلك على حسب ترتيب الوقائع والأحداث زمنيا، وبعدها فصلت قصصهم وأحداثهم في سورة البقرة، وذلك بدعوة.... اليهود والخطاب الذي حدث، عكس ما ذكر فيه النصارى فلم يذكر فيه الخطاب، وبعد البقرة تلتها سورة آل عمران، وهنا ذكر الخطاب مع النصارى، وهذا أحد أوجه التناسب المعجز في القرآن الكريم، فقد ذكر كلا الفريقين في سورة الفاتحة على وجه مجمل وفصّل في قصصهما في سورتي البقرة وآل عمران وهذه الأخيرة كانت مكملة ومتممة لما جاء في السورتين، فسبحان من نظمه بهذا التدرج الدقيق، ثم جمع الفريقان في سورة النساء فكان صدورها في ذكر اليهود وآخرها بذكر النصارى.[1]

ثالثا: يرى السيوطي أن سورة البقرة هي السورة التي شملت كل الأمثال والأحكام فقد سميت بفُسْطاط القرآن بما معناه الجامعة فالفسطاط هو المدينة الجامعة وكذلك جاءت في مقدمة القرآن.[2]

رابعًا: تعتبر البقرة من السبع الطوال وهي أطولهم فناسب ذلك الافتتاح بها حسب حجمها.

خامسًا: سورة البقرة هي أول سورة نزلت في المدينة المنورة فهي مدنية فربط السيوطي هي بسبب تقديمها.

سادسًا: لقد تشابهت خاتمتي كل من الفاتحة والبقرة، فختمت الأولى بالدعاء للمؤمنين حتى لا يتبعوا طريق الضالين والمغضوب عليهم بالإجمال، وختمت سورة البقرة بالدعاء للمؤمنين بأن لا يسلكون في طريق المؤاخذة والعقاب، بالخطأ والسهو والنسيان، وعدم حملهم عبئًا ثقيلاً وهو الإصر ولما لا طاقة لهم به تفصيلاً كما فعل بالذين من قبلهم[3]، إذ نرى التشابه في المقطع بين السورتين، وهذا ما يندرج تحت وجه المناسبة بين الخاتمتين.

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص85، 86.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص86.

[3] ينظر: المرجع السابق، ص.ن.

المطلب الثالث: المناسبة على مستوى السورة الواحدة.

أ- مناسبة اسم السورة لموضوعها:

فالسورة كما يقول الجعبريّ أنها قرآن يحتوي ويشمل آيات ذات فاتحة وخاتمة وقد حدد طولها فيقول أن أقلها ثلاث آيات.[1]

وأسماء السور هو أمر توقيفيي من النبي صلى الله عليه وسلم وبأمر من الله وقد ثبت ذلك في الكثير من الأحاديث ونستدل على ذلك بمثال في الحديث الذي أخرجه ابن أبي حاتم إذ يروي قوله لعكرمة حين قال أن المشركين كانوا يستهزئون بسور القرآن كالبقرة والعنكبوت حتى نزلت آية ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[2] ، وقد رفض بعضهم أن يقال لها سورة كذا[3]، مثل ما جاء عن أنس: «لا تقولوا: السورة البقرة ولا آل عمران ولا سورة النساء، وكذلك القرآن لله ولكن قولوا: السورة التي يذكر فيه البقرة والتي يذكر فيها آل عمران وكذا القرآن كله"[4]، حتى بعض العلماء ذكروا أنه ضعيف أو لا أصل له. فقد ذكر مثال لأسماء السور بعد تسميتها بذلك ولكن نسبها لذلك الموضوع.

ويروي البيهقي قول لابن عمر أن اسمها قد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود الذي أشار إلى المقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة وسماها كما جاءت ولم يختلف جمهور العلماء في هذا ولم يذكروها.[5]

وقد ذكر السيوطي في الإتقان أنه يمكن أن تكون للسورة الواحدة أكثر من اسم ومثل على ذلك بسورة الفاتحة التي ذكر لها أكثر من عشرين اسمًا، فيقول أن ذلك عائد لشرفها، فشرف المسمى يعود

[1] ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص347.

[2] سورة الحجر، الأية 95.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

[4] المرجع السابق، ص348.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص349، 350.

لكثرة الأسماء فهو دليل على أهميتها، وقد سميت بالفاتحة لعدة أوجه ذكرت فمثلا من الأقوال نذكر ما يلي:

- ❖ لأنها أول سورة نزلت.
- ❖ أول سورة كتب في اللوح المحفوظ.
- ❖ لأن الحمد أول وفاتحة كل الكلام.
- ❖ وهي التي يفتح بها المصحف لذلك سميت فاتحة فهناك من أسماها فاتحة القرآن.[1]

وقد سميت سورة النحل بالنِّعم وذلك للنعم الكثيرة التي عددها الله فيها، أم الإسراء فسميت لحادثة الإسراء والمعراج وقد سميت ببني اسرائيل[2].

2- المناسبة بين الآيات:

اهتم المفسرين بهذا النوع في المناسبات وذلك لتوقيفية ترتيب الآيات، فلابد من استنباط الآيات وإيجاد الحكمة من ذلك.

وأكثر ما بحث عنه المفسرون في الآية إذ هي تتعلق بالسياق الداخلي القريب وبعدها بمناسبتها للآية المجاورة لها سواءً التي تسبقها أو تلحقها بها وقد ظهرت جهودهم في البحث عن وجه المناسبة بين الآيات التي لا يفقه فيها القارئ علاقة الارتباط وعندما يرى أن هذه العلاقة منقطعة بين الآيتين، ولذلك استوجب عليهم تبرير ذلك، كوجود آية تتحدث عن القتال وتليها آية تتحدث عن انفاق الأموال، فيحتار في وجه المناسبة بين الآيتين، وهنا يخوض المفسرون في دراسة القضية.[3]

[1] ينظر: المرجع السابق، ص359.

[2] ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص189، 190.

[3] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص35.

والكلام السائد عندهم أن مرجع المناسبة في الآيات ونحوها كما يؤكده "الزركشي" يعود إلى المعنى يربط بينهما ويكون عامًا أو خاصًا، عقليًا أو حسيًا أو حتى خيالي وغيره من العلاقات، كالتلازم الذهني الذي يظهر في وجود السبب والمتسبب والنظرية والعلة والمعلول ...، أو التلازم الخارجي.

إذ يرى الفقي أن هذه الوجود من الربط والتي ذكرها الزركشي كشرط لوجود المناسبة هو ما يحقق الاستمرارية، بين كلمات وعبارات النص أو حتى أكثر من نص.[1]

وقد فطن علماؤنا أيضا للكيفية التي تتماسك بها الآيات وأتوا فيها بالشيء الكثير فتأكد بذلك فضلهم في إبراز أوجه التماسك في القرآن الكريم، كما ذكر "الزركشي" أنه إذ أثبت هذا التناسب في السور فما بالك بالآيات التي تحتويها سورة واحدة، وتعلقها ببعضها البعض، فيرى أن القرآن كله كالكلمة الواحدة، فكيف هو الشأن بالنسبة للآيات.[2]

آليات التماسك بين الآيات عند الزركشي:

يقسم الزركشي التماسك إلى تماسك بين السور وآخر بين الآيات، والتماسك بين الآيات يقسمه إلى تماسك بين آيات معطوفة، وأخريات لا يوجد فيها عطف حيث تتجاور دون رابط.

1- التماسك بين الآيات المعطوفة:

يذكر الزركشي أن فائدة العطف أن يجعل الإثنين المعطوفين كالنظرية أو الشريكين وتوضح ذلك بقوله تعالى ﴿هوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ

[1] ينظر: الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج2، ص95.

[2] ينظر: الزركشي البرهان في علوم القرآن، ج1، ص39.

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]، فيرى أن يلج ويخرج كلها نظائر العمل وبما سبق ثم يذكر الآيات التي تتحدث عن التوحيد والتنزيه ليعلم عظمة الآمر الناهي.[2]

ويمكن أن يحمل علاقات التلاحم والتماسك بين الآيات كالآتي:

أ- علاقة مقامية:

من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3] فطرح السؤال عن وجه المناسبة بين الأهلة وإتيان البيوت من ظهورها، فالمقام هنا هو الذي يفسر ويشرح وجه المناسبة ويبين التماسك بين الإثنين وذلك عند سؤالهم عن الأهلة ونقصانها وكأن الله عز وجل يقول لهم أن كل ما أمرهم به لهو وجه من الحكمة ظاهر ومصلحة لكم فدعوا السؤال عنه، وانظروا ما أنتم فاعلوه، وذلك بدخول بيوتكم من الوراء وليس ذلك من البر.[4]

ب- علاقة تمثيل:

ونرى ذلك في بداية سورة الإسراء في الآيتين الأوليتين، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴾[5] فكان البحث عن وجه المناسبة بين حادثة الإسراء بإتيان موسى الكتاب؟ فيرى الزركشي أن المعنى يدرك بتقدير الكلام، فقد أطلعه الله على الغيب، وأخبره الله عز وجل بوقائع السلف حتى يأخذها كبرهان للكفارة على

[1] سورة الحديد، الأية 4

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص40.

[3] سورة البقرة، الأية 189.

[4] ينظر: رشيد عمران، آليات التماسك النصي (الزركشي والسيوطي أنموذجين)، ص26.

[5] سورة الإسراء، الأيتين 1، 2.

إثبات معجزته، أي سبحان الذي أطلعك على بعض آياته ومعجزاته ومنها ما جرى لموسى عليه السلام وقومه.[1]

فقد تفطن "الزركشي" إلى أن كل من حادثة الإسراء وإتيان موسى الكتاب معجزتان فالإسراء جاءت بعد قصة أهل الطائف مع الرسول وخروجه منكسرًا وذلك ما حدث لموسى حين خرج من مصر خائفًا يترقب.[2]

ج- علاقة حسن تخلص:

يرى "الزركشي" أن حسن التخلص سمته أصلية في سمات الكلام الجيد، وهو موجود في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[3] ، فيشير إلى قصة يوسف عليه السلام فوطأ بهذه الجملة إلى ذكر القصة لأنه حيث قصة التخلص فلابد من التوطئة له.[4]

د- علاقة سياقية:

في بعض الآيات يكون للسياق دور كبير إيجاد دلالة الآيات[5]، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[6] ، إذ يقول "الزركشي" في تفسير ترتيب هذه الآيات، أنه جمع بين الإبل والسماء والجبال والأرض لأن العادة تقضي ذلك، وانتفاع الإنسان كله بها فلابد من أن يتدبر في ذلك، لأنه يعتمد عيشة على الإبل، ولابد لها أن تشرب وترعى وذلك لا يحدث إلا

[1] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص42.
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص ن.
[3] سورة يوسف،الأية 3.
[4] ينظر: المرجع السابق، ج1، ص45.
[5] ينظر: رشيد عمران آليات التماسك النصي (الزركشي، السيوطي أنموذجان)، ص29.
[6] سورة الغاشية، الأيتين 17-20.

بنزول المطر، ثم لابد لهم من مكان يمكثون فيه حتى يأمنوا ويتحصنوا فيذهبون إلى الجبال، وكان الناس لا يمكثون في مكان واحد كثيرًا مدة طويلة فلابد أن يتنقل في رحاب أرض الله الواسعة.[1]

2- التماسك بين الآيات غير المعطوفة:

يبحث "الزركشي" أيضا في أسباب تجاور الآيات غير المعطوفة وسرُّ تماسكها، فيصل في النهاية إلى أن هناك علاقات تربط هذا ا لتناسب والتماسك منها:

أ- علاقة تنظير:

يؤكد في البداية إلى أن إلحاق النظير بنظيره من دأب العقلاء، فهذا إما يحث عليه المنطق، فهي علاق منطقية ويعلل ذلك التماسك في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ، كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾[2] ، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ وبين ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾.

إذ يعلل ذلك بعلاقة التنظير أو التقابل، ذلك أن الله عز وجل أمر رسوله بأن يمضي في تقسيم الغنائم على كره من أصحاب، كما هو الحال عندما مضى في أمره عند خروجه من بيته لملاقاة العدو و هم كارهون، فقابل بين كراهتهم تقسيم الغنائم بكراهتهم للخروج في طلب العدو ومقابلته.[3]

ب- علاقة التضاد:

تعد من أهم العلاقات التي تتجلى فيها المناسبة بين الآيات، وتظهر هذه العلاقة في الآيات الأولى من سورة البقرة التي تثني على القرآن ونذكر صفات المؤمنين حقًا الذين يؤمنون ويقيمون

[1] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص45.

[2] سورة الأنفال، الأيتين 04-05.

[3] ينظر: الزركشي، المرجع السابق، ص47.

الصلاة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[1]

فيرى "الزركشي" أنه يوجد رابط خيالي وهمي بالتضاد والتعاكس وحكمته ثبوت الأول والتشويق له كما يقال أن الأشياء تتبين بضدها.[2]

ج- علاقة استطراد:

إذ تظهر هذه العلاقة في الكثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ، وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[3] ؛ إذ يوضح الزركشي هذه العلاقة التي ساهمت في تماسك الآيتين بقوله أن كلا الآيتان تبدأ بذكر قدرة الله في خلقه وهو أمر خاص به، ثم يأخذ في معنى آخر وهو سجود الكون وما فيه لله عز وجل.[4]

د- علاقة تنشيط للسامع:

بحيث تأتي هذه الآيات التي يكون فيها تحول الحديث وانتقاله لحديث آخر بغية تنشيط السامع من قول تعالى بعد ذكر الأنبياء في سورة "ص": ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾[5]، لأن القرآن من الذكر، قلما انتهي من ذكر الأنبياء في قوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾[6]، وهو نوع من التنزيل أراد أن يذكر نوع آخر وهو ذكر الجنة وأهلها فقال ﴿هَذَا

[1] سورة البقرة، الأيتين 03-04.
[2] ينظر: الزركشي، المرجع السابق، ص49.
[3] سورة النحل،الأيتين 48-49.
[4] ينظر: الزركشي، المرجع السابق، ص50.
[5] سورة ص، الأية 49.
[6] سورة ص، الأية 45.

ذِكْرٌ﴾ فأكد تلك الإخبارات باسم الإشارة لينتقل إلى حديث آخر لذلك لما تفرغ من ذكر أهل الجنة قال[1] ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ، هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾[2].

3- المناسب بين فواتح السور وخواتيمها:

وفي هذا النوع من المناسبات نجد أن كل سورة تبدأ بموضوع وتنتهي الموضوع نفسه، ومثال ذلك:

❖ فقد ابتدأ في سورة المؤمنين بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ،... هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3] ، فقد تحدث فيها عن نجاح وفوز المؤمنين بالنعيم وختم السورة بقوله ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا... وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾، فقد ذكر الكافرون الذين يتخذون من دون الله إلاها أخر وخسرانهم، فالفوز لا يكون إلا بالاتصاف بالعبادات والأخلاق الحسنة.[4]

❖ وفتحت سورة الحجر بقوله عز وجل: الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ،... وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[5]، فهنا كان الأمر حول القرآن والمشركين الذين خالفوا الحق وإذ سخروا من الرسول صلى الله عليه وسلم، واتهموه بالجنون، حاشاه عما يصفون، وفي الأخير تختم السورة بقوله تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى

[1] ينظر: الزركشي، المرجع السابق، ص51

[2] سورة ص، الأية 55.

[3] سورة المؤمنون، الأيات 1-11.

[4] ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص74.

[5] سورة الحجر، الأيات 1-6.

يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[1]، فقد وضع هذا قبل الجهاد عندما يدعوهم للإيمان بالله كانوا يستهزؤون به ويسخرون منهم ويصفوه بالشاعر أو المجنون، فكان يضيق صدره لما يقولون فكان الله يأمره بالصبر واللجوء إليه فهو الذي سيكفيه أمر هؤلاء المستهزئين.[2]

ونلاحظ ذلك حتى في السور الطوال كسورة آل عمران المدنية، فقد أفتتحت بقوله تعالى ﴿الم ، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ... وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾[3]، والحديث هنا عن الله الدائم الحياة والقيام بتدبر خلقه وحفظهم، منزل الكتب، شديد العذاب لمن كفر بها، وتختم السورة بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ ... وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]، وهنا الحديث عن المؤمنين الذين آمنوا بالله وما أنزل إليهم، حيث أمرهم بأن يجاهدوا أنفسهم لفعل الطاعات والابتعاد عن الأهواء فيغلبوا أعداءهم بالصبر وإقامة الحدود بينهم وذلك في قوله اصبروا وصابروا ورابطوا.[5]

4- مناسبة فاصلة الآية لِموضوعها:

❖ إن القرآن الكريم يراعي فواصل الآيات لما في ذلك من تأثير كبير على السمع ووقع مؤثر في النفس.

اتفق العديد من العلماء اللغويين والمفسرين على أن الفاصلة في القرآن الكريم هي آخر كلمة في الآيات وهي كقافية الشعر، إذ لها دور في توصيل المعنى المراد وافهامه فلو حذفت وأزيلت لاختل المعنى في الآيات، فيرى "السيوطي" أن الفاصلة هي عبارة عن استراحة في الكلام وسميت كذلك لأنها تفصل بين كلامين.[6]

---

[1] سورة الحجر: 92-99.

[2] ينظر: مصطفى مسلم، المرجع السابق، ص75.

[3] سورة آل عمران، الأيات 01-04.

[4] سورة آل عمران، الأيتين 199-200.

[5] ينظر: مصطفى مسلم، المرجع السابق، ص76.

[6] ينظر: محمد حسين النقيب، الفاصلة في السياق القرآني (سورة مريم أنموذجًا)، اليمن، د.ت، ص4.

قال تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] ، وتتضح مناسبة فاصلة هذه الآية لمضمونها في قصة الأعرابي مع قارئ: عندما سمعه يقرؤها فقال في الأخير «والله غفور رحيم»، فقال الأعرابي من أنه لا يقرأ القرآن: ليست التلاوة كذلك لأن عز فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع، بعد أن صححها القارئ وقال «والله عزيز حكيم».[2]

وفي قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[3] فقد جاءت الفاصلة في هذه الآية مفردة (عضد) بالرغم من أن الآية تتحدث عن المصليين بالجمع فقد جاءت هكذا حتى تتناسب مع فواصل الآيات التي قبلها (أحدًا بدلا موعدًا) وهي الأنسب ليحدث التماسك بين الآيات والفواصل وكذلك هناك وجه آخر لتفسيرها، فمن حيث المعنى يعتبر الله المضلين واحدهم كجمعهم، إذ يستغني الله على أن يجعلهم أعوانًا وأنصارًا له فهم في موضع من الهوان والذل.[4]

إذ نجدها في الكثير من المواضع إن لم نقل أغلبها فيقول الله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[5]، فهنا نجد أن الفاصلة قد ناسبت ما جاء في معنى صدر الآية فالغني الحميد يتناسب مع بداية الآية بأن الله له ملك كل شيء فهو الغني ونحن الفقراء، ولابد من الحمد له والثناء عليه.[6]

[1] سورة المائدة، الأية 38.

[2] ينظر: محمد حسين النقيب، المرجع السابق ، ص5.

[3] سوررة الكهف، الأية.

[4] ينظر:محمد حسين النقيب، المرجع السابق، ص5، 6.

[5] سورة الحج، الأية 64.

[6] ينظر: محمد حسين النقيب، المرجع نفسه، ص11.

الفصل الثالث:
المناسبة القرآنيّة في سورة مريم
دراسة تطبيقيّة

المبحث الأول : التعريف بسورة مريم

المطلب الأول : تسميتها

إن الناظر إلى المصحف الشريف يجد في رأس كل سورة اسمها ، و قد اختلف العلماء في حقيقة التسمية أ هي وقفية مردها النقل ، أو هي اجتهادية ترجع إلى مناسبة الاسم للسورة ، وقد ورد في سورة مريم التي بين أيدينا اسمان لها ، **"مريمّ"** المدون على المصاحف و هو الأشهر والثانيّ " **كهيعص**".

أما تسمية "مريم" فقد " رُوِيَتْ عَنِ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالدَّيْلَمَيُّ، وَابْنُ مَنْدَهْ، وَأَبُو نُعَيْمٍ، وَأَبُو أَحْمَدَ الْحَاكِمُ: عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ الْغَسَّانِيّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ: ﴿أَتَيْتُ النَّبِيءَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ وُلِدَتْ لِيَ اللَّيْلَةَ جَارِيَةٌ، فَقَالَ: وَاللَّيْلَةَ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ مَرْيَمَ فَسَمِّهَا مَرْيَمَ ، فَكَانَ يُكَنَّى أَبَا مَرْيَمَ، وَاشْتُهِرَ بِكُنْيَتِهِ، وَاسْمُهُ نَذِيرٌ، وَيَظْهَرُ أَنَّهُ أَنْصَارِيٌّ﴾.[1]

أما اسمها الثاني كهيعص فقد سماها ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَكَذَلِكَ وَقَعَتْ تَسْمِيَتُهَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ فِي أَكْثَرِ النُّسَخِ وَأَصَحِّهَا. وَلَمْ يَعُدَّهَا جَلَالُ الدِّينِ فِي «الْإِتْقَانِ» فِي عِدَادِ السُّوَرِ الْمُسَمَّاةِ بِاسْمَيْنِ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَرَ الثَّانِيَ اسْمًا لها.[2]

و هي السورة الوحيدة من سور القرآن الكريم التي حملت اسم امرأة، وهي مريم بنت عمران، والدة سيّدنا عيسى –عليه السَّلام–، فجعل الله تعالى هذه السّورة تخليدًا لذكرى هذه المرأة العظيمة،. وَ وَجْهُ تَّسْمِيَتها بهذا الاسم أَنَّهَا بُسِطَتْ فِيهَا قِصَّةُ مَرْيَمَ وَابْنِهَا وَأَهْلِهَا قَبْلَ أَنْ تُفَصَّلَ فِي غَيْرِهَا. إذ ولدت ابنها المسيح بمعجزة إلهيّة غير مسبوقة، فكانت عذراء وليس لها زوج، وجاء المسيح –عليه السَّلام– من غير أبّ.

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت: 1393هـ) ، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، الدار التونسية للنشر – تونس ، 1984 م ج 17 ص 56

[2] ينظر المرجع نفسه ج 17 ص 58

ويعدّ اسم "مريم" هو الاسم الوحيد الذي ذكر في القرآن صراحةً من بين كل أسماء النساء، مما يدلُّ على عظيم شأنّها في الإسلام، وقد جاء ذكرها أيضًا في سورة آل عمران، في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[1] أيّ أنّ مريم ــ عليها السلام ــ هي أفضل نساء العالمين، وقد ورد ذكر السيّدة مريم في سورة التّحريم، في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[2] ، و ورد ذكرها أيضًا في حديث رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–:﴿ كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ علَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ علَى سَائِرِ الطَّعَامِ﴾.[3]

المطلب الثاني :آياتها

تعد سورة مريم من السور المكية عند جمهور العلماء باستثناء الآيتين 58 و 71. إذ جاء عَنْ مُقَاتِلٍ: أَنَّ آيَةَ السَّجْدَةِ مَدَنِيَّةٌ. وَلَا يَسْتَقِيمُ هَذَا الْقَوْلُ لِاتِّصَالِ تِلْكَ الْآيَةِ بِالْآيَاتِ قَبْلَهَا إِلَّا أَنْ تَكُونَ أُلْحِقَتْ بِهَا فِي النُّزُولِ وَهُوَ بَعِيدٌ. وَلَا يُشْبِهُهَا فِي ذَلِكَ إِلَّا سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ الَّتِي نَزَلَتْ فِي الْمَدِينَةِ[4].

وَعُدَّتْ آيَاتُهَا فِي عَدَدِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ. وَفِي عَدَدِ أَهْلِ الشَّامِ وَالْكُوفَةِ ثمانا وَتِسْعين[5].[6]

[1] سورة آل عمران، الأية 42.

[2] سورة التحريم، الآية 12.

[3] محمد بن عاشور التونسي ، التحرير والتنوير ، ج 16 ، ص: 57.

[4] ينظر المرجع نفسه ، ص: 58

[5] ينظر المرجع نفسه ، ص: 58.

المطلب الثالث ترتيبها:

هي السورة التاسع عشر في ترتيب سور المصحف وَهِيَ السُّورَةُ الرَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ فِي تَرْتِيبِ النُّزُولِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ فَاطِرٍ وَقَبْلَ سُورَةِ طه. وَكَانَ نُزُولُ سُورَةِ طه قَبْلَ إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ كَمَا يُؤْخَذُ مِنْ قِصَّةِ إِسْلَامِهِ فَيَكُونُ نُزُولُ هَذِهِ السُّورَةِ أَثْنَاءَ سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنَ الْبَعْثَةِ مَعَ أَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ، وَلَيْسَ أَبُو مَرْيَمَ هَذَا مَعْدُودًا فِي الْمُسْلِمِينَ الْأَوَّلِينَ فَلَا أَحْسَبُ الْحَدِيثَ الْمَرْوِيَّ عَنْهُ مَقْبُولًا.[1]

المطلب الرابع: سبب النزول:

من المعلوم أن من قواعد التفسير و علوم القرآن معرفة أسباب نزول الآيات و السور لأن معرفة الأسباب يساعد على فهم معانيها كما هو حاصل في الدراسات الحديثة فإن معرفة دلالة أي نص ترتبط ارتباطا وثيقا بالمقام الذي أنشئ فيه ، و هو ما يعرف بالمقامية في المعايير النصية الحديثة ، و حتى يعلم سبب النزول تنبغي معرفة زمن نزولها و الأحداث المرتبطة به.

و ذكر في صحيح البخاري أن من أسباب نزول سورة مريم هو تأخر الملاك جبريل عن تنزيله للوحي على الرسول ــ صل الله عليه و سلم ــ و كان يرجو الرسول من الله أن يأتيه جبريل بالوحي

إذ "﴿قَالَ عِكْرِمَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ، وَمُقَاتِلٌ، وَالْكَلْبِيُّ: احْتَبَسَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حِينَ سَأَلَهُ قَوْمُهُ عَنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَذِي الْقَرْنَيْنِ، وَالرُّوحِ فَلَمْ يَدْرِ مَا يُجِيبُهُمْ وَرَجَا أَنْ يَأْتِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِجَوَابِ مَا سَأَلُوهُ فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ فَشَقَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَشَقَّةً شَدِيدَةً فَلَمَّا نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ لَهُ: "أَبْطَأْتَ عَلَيَّ حَتَّى سَاءَ ظَنِّي وَاشْتَقْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "إِنِّي كُنْتُ إِلَيْكَ أَشْوَقَ وَلَكِنِّي عَبْدٌ

[1] جلال الدين السيوطي ، أسرار ترتيب القرآن ، دار الاعتصام، القاهرة، ص115 .

مَأْمُورٌ إِذَا بُعِثْتُ نَزَلْتُ وَإِذَا حُبِسْتُ احْتَبَسْتُ﴾[1]، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾[2] .

أما في سبب نزول قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا}(مريم: 66) فقد قَالَ فيها الْكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ فِي أُبَيّ بْنِ خَلَفٍ حِينَ أَخَذَ عِظَامًا بَالِيَةً يَفُتُّهَا بِيَدِهِ وَيَقُولُ: زَعَمَ لَكُمْ مُحَمَّدٌ أَنَّا نُبْعَثُ بَعْدَمَا نَمُوتُ.[3]

و قيل في الآية {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا} 77 أنها نزلت في العاص بن وائل السهمي الدي كان له دين على خباب بن الأرت في الحديث الذي رواه عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ قَالَ: كَانَ لِي دَيْنٌ عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ لَا أَكْفُرُ بِمُحَمَّدٍ حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ، قَالَ: إِنِّي إِذَا مِتُّ ثم بعثت، جئني وَسَيَكُونُ لِي ثَمَّ مَالٌ وَوَلَدٌ فَأُعْطِيكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

المطلب الخامس: موضوعاتها:

إن المتمعن في السورة والمتأمل في سياقها يجدها تتمحور حول التوحيد وإقراره ، ونفي الشرك والرد على المشركين و أدعيائهم ، فلقد تعدد في السورة الأساليب التي عرض الله بها قصة زكريا ويحي عليهما السلام إلى قصة مريم ومولد عيسى عليه السلام، ثم أطراف من قصة إبراهيم مع أبيه.

وفي هذا الصدد يقول السيد قطب :" يدور سياق هذه السورة على محور التوحيد و نفي الولد و الشريك و يلم بقضية البعث القائمة على قضية التوحيد... هذا هو الموضوع الأساسي الذي تعالجه السورة كالشأن في السور المكية غالبا . و القصص هو مادة السورة فهي تبدأ بقصة

[1] أخرجه البخاري ، أبو الحسن علي النيسابوري ، أسباب نزول القرآن ، دار الإصلاح الدمام ، ط: الثانية، 1412 هـ – 1992 م، ص،30 .

[2] سورة مريم، الأية 64.

[3] ينظر أخرجه البخاري، المرجع نفسه: ص: 301

زكريا ... ة يستغرق هذا القصص حوالي ثلثي السورة و يستهدف إثبات الوحدانية و البعث و نقي الولد و الشريك ، و بيان منهج المهتدين و منهج الظالين من أتباع النبيين و من ثمة بعض مشاهد القيامة ، و بعض الجدل مع المنكرين للبعث... و لسورة كلها جو خاص يظلها و يشيع فيها و يتمشى مع موضوعاتها" [1]

ومنه فالسورة دارت موضوعاتها حول إثبات الوحدانية و البعث و تنزيهه عن الولد ، فلقد جاءت السورة للرد على اليهود فيما اقترفوه من القول الشنيع في حق مريم و ابنها عيسى عليهما السلام.

ومما جاء قي السورة أيضا:[2]

استجابة الله عز و جل لدعاء زكريا عليه السلام ، إذ رزقه الله بالولد رغم كبر سنه و عقر امرأته ، و قد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا... لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾[3]

وصف يحي عليه السلام بالقوة في الدين والحكمة في الصبا و الحنان و التقى ، و قد ورد ذلك في قوله جل شأنه:﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ.... وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[4] .

معجزة حمل مريم عليها السلام و قداسة ولدها ، و نجد ذلك في: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ .... إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾[5]

تمهيد الله لنبوة عيسى عليه السلام من خلال كلامه في المهد أذ قال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ... وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾[1] .

---

[1] السيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط36 ، 1427هـ/ 2007م، ج 4،ص2299.

[2] محمد حسين النقيب ، الفاصلة في السياق القرآني ، اليمن ، ص 16.

[3] سورة مريم، الأيتين 1_6.

[4] سورة مريم، الأيتين 11 – 13.

[5] سورة مريم، الأيتين 15 _ 17.

عرض قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر في قوله: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا... وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[2] .

الثناء على الرسل: إسحاق ، يعقوب ، موسى، هارون، إسماعيل، إدريس، نوح وتنزيههم عن الشرك.

إظهار ثواب المتقين وهو الخلود في جنة النعيم، وجزاء المجرمين بحشرهم في دار الخزي والمهانة ، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ...إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾[3].

نزول القرآن الكريم بلسان عربيي مبين مبشرا للمتقين ومنذرا للعاصين والمجرمين ، وهذا ما تمثل في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾[4].[5]

و سورة مريم كغيرها من سور القرآن تعدد فيها الموضوعات و تنوعت فيها الأغراض و السياقات التي ما ينفك المجتهد في دراستها من استنباط الأحكام و استخلاص العبر الهادية للحق .

[1] سورة مريم، الأيتين 28 _ 31.

[2] سورة مريم، الأيتين 40 _ 48.

[3] سورة مريم، الأيتين85_87.

[4] سورة مريم، الأية97.

[5] محمد حسين النقيب ، المرجع السابق، ص: 17

المبحث الثاني: المناسبة على مستوى فوق السورة (علاقة سورة مريم بما يسبقها وما يلحقها).

المطلب الأول: مناسبة سورة مريم للسورة التي قبلها "الكهف"

تبدو الصلة بين سورتي مريم والكهف جلية وواضحة، فكلتاهما مفتتحتان بالذكر، وذكر القرآن ومختتمتان به، يقاطعان في أن كلتاهما سورتان مكيتان، اشتملتا على قصص عجيبة تدل على قدرة الله العظيمة ورحمته الواسعة بخلقه عامة وعباده خاصة، ويظهر التناسب بينهما في عدة مواضع نذكر منها: – ترى أحد أوجه التناسب في ختام سورة الكهف وبداية سورة مريم، إذ يقول تعالى في ختام الأولى: ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّ ﴾ [1]وقال تعالى في بداية الثانية (مريم): ﴿ ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾[2].

- فقد جاءت رحمة الله خاتمة للأولى وخاتمة للثانية[3].

جاء في سورة مريم تفصيل لما أجمل في الكهف، إذ يقول عز وجل في خواتيم الكهف: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [4]، أجملت هذه الآية أمر الله في عباده، إذ أورد في سورة مريم ﴿ يزكريا إنا نبشرك بغلام ...سميّا﴾[5] وما فعله ربنا مع زكريا إنما هو في كلماته عز وجل ومن كلماته أيضا ما حصل مع مريم

[1] – سورة الكهف، الأية 109.

[2] – سورة مريم، الأية 02.

[3] – ينظر، فاضل صالح السامرائي، التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، دار ابن كثير، ط1، 1437هـ-2016م، ص112.

[4] –سورة الكهف، الأية 109.

[5] سورة مريم، الأية 07.

عليها السلام، إذ يقول ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله ... ومن المقربين﴾[1]، فهنا قد سمى الله عيسى عليه السلام كلمة وهو أمر ربنا.[2]

- لقد ذكر الله تعالى في سورة مريم رحمته بعبده زكريا ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ [3]، وذكر في الكهف رحمته لعباده فذكر منها:

رحمته بالمساكين أصحاب السفينة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[4] .

ورحم الأبوين اللذان كانا يؤمنان بالله فأبدلهما الله خير من ولدهما إذ يقول: ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ، فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾[5]

وقد حفظ كنز الغلامين اليتيمين قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾[6].

وفي قصة ذي القرنين، إذ رحم القوم الضعفاء من ياجوج وماجوج، إذا قال ذي القرنين[7]: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾[8].

---

[1] سورة آل عمران، الأية45.

[2] – ينظر، فاضل صالح السامرائي، التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم ، ص 113.

[3] سورة مريم، الأية 02.

[4] سورة الكهف، الأية 79.

[5] سورة الكهف، الأية 80-81.

[6] سورة الكهف، الأية 82.

[7] – ينظر، فاضل صالح السامرائي، المرجع السابق، ص 113.

[8] سورة الكهف، الأية 97.

في ختام سورة الكهف جاء تأكيد بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ونبوته إذ يقول عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[1] .

أما في سورة مريم فقد أكد على نبوة نبي آخر وهو عيسى عليه السلام: ﴿ قال إني عبد الله ...ما دمت حيا﴾ [2]فكلا الآيتين تتحدثان عن أح الأنبياء وتأكيد بشريتهم وما جاؤوا به.

تناسب ختام سورة مريم كذلك مع فاتحة الكهف حول بيان مقاصد القرآن الكريم، إذ يقول في بداية الكهف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾[3]،وشرح مقصد القرآن في ختام سورة مريم بقوله عز وجل: ﴿ فإنما يسرناه ... به قوما لدا﴾[4] .

أما عن ختام سورة الكهف وموضوعات سورة مريم، فقد ذكر طريق النجاة والفلاح في الأولى، وتقدم أمثلة واقعية لمن اتبعوا هذا الطريق وكلّلوا بالفوز وفي قصص للأنبياء والصديقين، ومنهم زكريا وابنه يحي، ومريم وابنها عيسى، ابراهيم وابنيه اسحاق ويعقوب عليهم السلام وذكر قولا شاملا لكل النبيين والصدقين في قوله تعالى: ﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم ... سجدا وبكيّا ﴾[5].

وفي تناسب مقاطع ومواضيع السورتين وقد تضمنت الأولى قصص عجيبة منها أصحاب الكهف وقصة سباتهم، قصة سيدنا موسى مع الخضر وأحداثها التي تعجب منها سيدنا موسى عليه السلام ثم جاءت سورة مريم لتشير إلى قصص أعجب منها، كولادة يحي بن زكريا عليهما

[1] سورة الكهف، الأية 110..
[2] سورة مريم، الأية 30-31.
[3] سورة الكهف، الأية 01-02.
[4] سورة مريم، الأية 97.
[5] سورة مريم، الأية 58

السلام من أب شيخ وأم عاقر، ثم ذكر ما هو أعجب منها وهو ولادة عيسى عليه من دون أب، فهذا التدرج، إن دلّ على شيء فهو يدل على حكمة الله تعالى وقدرته التي تفوق الخيال، ورحمته الواسعة التي لا حدود لها.

لقد أنذر الله تعالى في مقدمة سورة الكهف من ادعى أن له ولدا إذ يقول: ﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾[1] ، ثم أكد على ذلك في سورة مريم عند حملها بعيسى عليه السلام وذلك نفي لاتخاذ الله ولدا[2] حاشاه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد.

ذكر في كلا السورتين قصص عن الابتعاد عن الأهل والتخفي عنهم، ففي سورة الكهف ذكر فرار الفتية من قومهم والتجائهم إلى الكهف قال تعالى: ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آَتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[3] ،أما في سورة مريم فقد ذكر التجاءها إلى جذع النخلة بعيدا عن أعين الناس إذ يقول عز وجل: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾[4] ، وكذلك قوله تعالى ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾[5] وكلتا القصتين ختمتا بنهاية عجيبة، فالفتية استيقظوا من سبات دام ثلاثمائة سنين وتسعة، ومريم انجبت ولدا من دون أب .[6]

وقد تناسبت السورتان من حيث الخاتمة، إذ اختتمت الكهف بذكر جزاء المؤمنين الصالحين وما سيلقونه عند ربهم مقابل طاعتهم وخضوعهم في جنات ونعيم، إذ يقول تعالى في هذا الصدد:

---

[1] سورة الكهف، الأية 03.

[2] – ينظر، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن ، مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الامارات، مج4، ط1، 1431هـ-2010م، ص 409-411.

[3] سورة الكهف، الأية 09.

[4] سورة مريم، الأية 16.

[5] سورة مريم، الأية 22..

[6] – ينظر، السامرائي، التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، ص 114.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾[1]

وكذلك ذكرهم في ختام سورة مريم حتى يبشروا ويداوموا على طاعتهم وقد أكرمهم في الدنيا قبل الآخرة وذلك بمحبة العباد لهم وذكر سيرهم الحسنة[2]، إذ يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾[3] .

المطلب الثاني: مناسبة سورة مريم للسور التي تليها "طه".

أ– المناسبة بين خاتمة مريم وبداية طه:

يقول البقاعي أنه لما ختم الله سورة مريم بإنذار القوم الله الذين يكفرون وبشدة ويتعهون الباطل ويعمدون إليه، حتى تقوم عليهم الحجة، فيهلكون في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ [4]، ثم توعد الله بإهلاكهم وذكر امثلة لقوم أهلكوا قبلهم في قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم في العاصيين، حتى يتقينوا لأمر الله وحسابه الذي لا مفر منه[5] ، إذ يرى البقاعي أنه ختم سورة بهذا الوعيد من قبل ولربما خاف النفر القليل الذين ءامنوا منهم فجاءت بداية سورة طه(1) لتخفف من روعهم في قوله تعالى: طه ، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ، إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴾[6] ، أي أنه لم ينزل عليه القرآن ليتعب لكونه من أقل المرسلين اتباعا من طرف قومه.[7]

---

[1] سورة الكهف ، الأية 107-108.

[2] – ينظر، نخبة من علماء التفسير، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ص410.

[3] سورة مريم، الأية 96.

[4] سورة مريم، الأية 97.

[5] – ينظر، السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص462.

[6] سورة طه ، الأية 01-03

[7] – ينظر، نخبة من علماء التفسير، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ص 496.

وقد ظهر التناسب بين ختام مريم وبداية سورة طه في كثير من المواضيع، إذ قال تعالى في خواتيم سورة مريم: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾[1] ، و ناسب ذلك سورة طه في قوله تعالى:﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾[2].

وكما قال في آخر سورة مريم: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾[3]. وقد فصل ذلك في طه وضرب مثل من القوم الذين أهلكهم بفرعون وجنوده وذلك في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، إذا قال تعالى في بداية[4] طه: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾.[5]

ب– المناسبة بين مضمون السورتين:

يقول السيوطي في هذا الصدد أنه قد ذكر في سورة مريم قصص العديد من الأنبياء فمنهم من فصلت قصته ومنهم من أجملت، فمن التي فصلت قصته زكريا ويحي وعيسى عليهم السلام، لكن بالنسبة لقصة موسى عليه السلام فقد اجملت في سورة مريم ثم بسطت في سورة طه، وكذلك قصة آدم عليه السلام الذي ذكر اسمه فقط في الأولى وبعدها فصلت في سورة طه وهذا في بلاغة الأسلوب وعجيب الترتيب.[6]

ولما ذكر سبحانه وتعالى قصة إبراهيم عليه السلام وما منّ الله به عليه، وذكر مجموعة من الأنبياء بعده على وجه الخصوص، إذ يقول عز وجل: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ

[1] سورة مريم، الأية 93.

[2] سورة طه ، الأية 06.

[3] سورة مريم، الأية 98.

[4] – ينظر، السامرائي، التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، ص 114-115.

[5] – سورة طه، الأية 78.

[6] – ينظر، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مج4، ص 497.

مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾[1] ، فقد خصهم الله بالجنات والدرجات العليا، ثم ذكر أنه أهلك من بعدهم فجاءت الآية التي تقول: ﴿ طه ، مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ"﴾[2] ، فكان هذا لملاطفة النبي صلى الله عليه وسلم[3] وقد ناداه الله باسم "طه" والذي يعني لغة عك "يا رجل" أو " يا حبيبي" وذلك ردا على المشركين الذين قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم أن القرآن نزل عليه ليشقى فأنزل الله هذه الآية ملاطفة للنبي صلى الله عليه وسلم.[4]

إن الناظر إلى سور القرآن الكريم والمتمعن والمتدبر فيها، يكتشف أن لكل سورة علاقة بالسورة التي سبقتها والتي تليها خاصة في السور المكية وهذا ما نراه في علاقة سورة مريم بالكهف و طه، ولا تشمل هذه العلاقة كل مواضيع السور وإنما في آيات معينة، ولا توجد علاقة بين سورة بأكملها وسورة وأخرى.[5]

لأن القرآن كله لا يخرج من محورين أساسين تتشعب عنهما محاور كثيرة هما الألوهية والعبودية وكل سورة تناقشها بسورة قد تتفق مع غيرها في السور أو تختلف وهذا ما نراه في سورة مريم وعلاقتها بالسورتين اللتين سبق ذكرهما، ولعل هذا من مظاهر التماسك النصي بينهم، ويظهر التناسب بينهم في المضمون فكل السور الثلاثة سور مكية وكما نعلم أن السور المكية فيها تقرير للعقيدة الإسلامية ودحض للمنهج الكفار والمشركين، وذكر القرآن ومقاصده وأهدافه في تأصيل القيم والدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق.

[1] سورة مريم، الأية 58.

[2] سورة طه، الأية 01-02.

[3] – ينظر، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، ص 498.

[4] – ينظر المرجع نفسه، ص 511-512.

[5] – ينظر، الفقي، علم اللغة بين النظرية والتطبيق، ج2، ص 167.

فقد تشابهت فاتحة وخاتمة سورة مريم لكل من فاتحتي وخاتمتي السورتين (الكهف–طه) فكلها مفتتحة بذكر القرآن والذكر، ومختتمة به.[1]

السورة	بيان نزولها	فاتحتها	خاتمتها
الكهف	مكية	"الحمد لله الذي أنزل على عبده ...عوجا" (1)	" قل إنما أنا ... ربّه أحدا" (110)
مريم	مكية	"ذكر رحمة ربّك" واذكر في الكتب ... شرقيا"(16)	" فإنما يسرنه... ولتنذر به قوما لدّا" (97)
طه	مكية	طه*ما أنزلنا عليك... والسموات العلى" (1–4)	" ومن أعرض عن ذكري... وكذلك اليوم تنسى" (124).

[1] – ينظر السيوطي، علم المناسبات في السور والآيات ويليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، تح: محم بن عمر بن سالم بازمول، المكتبة المكية، ط1، 1423هـ–2002م، ص140.

البحث الثالث: المناسبة على مستوى السورة

المطلب الأول: المحور العام للسورة.

لقد جاءت سورة مريم لتدل على رحمة الله الواسعة بعباده وتثبت وحدانيته ونفي الولد والشريك وكذلك اثبات الوحي والبعث.

ففي السياق العام للسورة العام للسورة نرى أن السورة تفتتح بالحديث عن نبي الله زكريا ثم ابنه يحي ومريم وابنها عليهما السلام في ذكر مجموعة من الأنبياء يأتي في مقدمتهم أبو الأنبياء آدم عليه السلام، فيدور الحديث حول كمال عبوديتهم لله تعالى ورحمته بهم، وبعدها يذكر سوء عاقبة من انحرفوا عن الدين إلا من تاب وآمن فتظهر رحمة الله تعالى حتى مع الكفار في الدنيا حين يمهلهم ويخاطبهم ويحاورهم وينذرهم للعودة ويفتح لهم باب التوبة، ثم رحمته تعالى بإدخاله لعباده المؤمنين الجنة.[1]

إذ تدور آيات السور الكريمة حول اتجاهين بينهما تناسب وترابط هما الطاعة والخضوع لله تعالى وحسن عبادته، ورحمته الواسعة التي شملت جميع مخلوقاته.[2]

[1] – ينظر، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مج4، ص 413– 406.

[2] – ينظر، محمد ماضي، سلسلة مدارسات سور القرآن، مدارسة سورة مريم، 9 يناير 2018م، ح19.

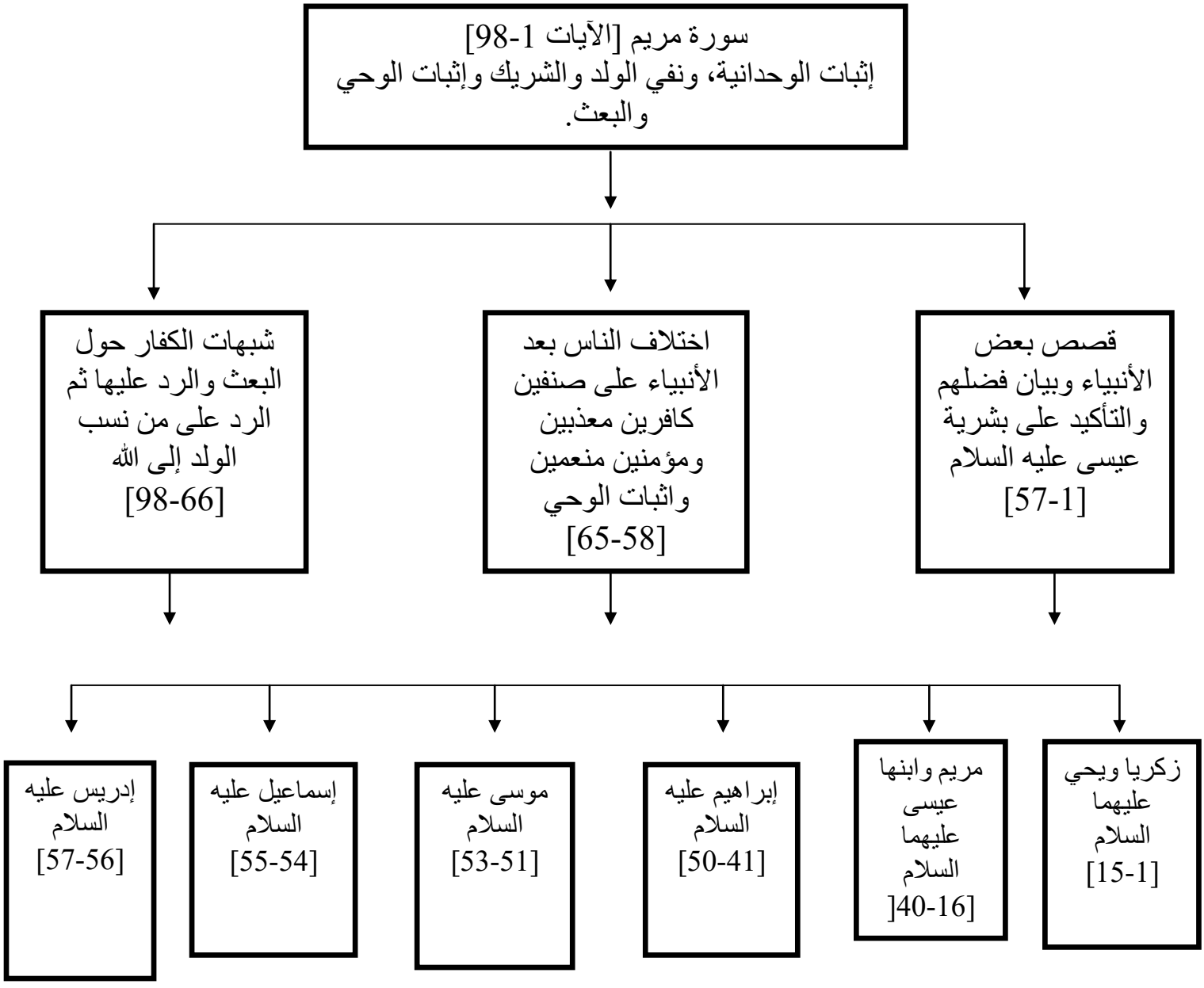
سورة مريم [الآيات 1-98]
إثبات الوحدانية، ونفي الولد والشريك وإثبات الوحي والبعث.
قصص بعض الأنبياء وبيان فضلهم والتأكيد على بشرية عيسى عليه السلام [1-57]
اختلاف الناس بعد الأنبياء على صنفين كافرين معذبين ومؤمنين منعمين واثبات الوحي [58-65]
شبهات الكفار حول البعث والرد عليها ثم الرد على من نسب الولد إلى الله [66-98]
زكريا ويحي عليهما السلام [1-15]
مريم وابنها عيسى عليهما السلام [16-40]
إبراهيم عليه السلام [41-50]
موسى عليه السلام [51-53]
إسماعيل عليه السلام [54-55]
إدريس عليه السلام [56-57]

المطلب الثاني: مناسبة اسم السورة لمحورها العام.

تعتبر سورة مريم السورة الوحيدة التي جاءت باسم امرأة في القرآن الكريم وهذا يدل على مكانتها وقربها من الله تعالى إذ تعتبر إحدى آيات الله المعجزة، وقد سميت السورة بهذا الاسم لأنها بسطت فيها قصة مريم عليها السلام هذا من جهة، من جهة أخرى فمحور السورة يدور حول الرحمة، فقد جاء في البداية رحمة الله بنبيه زكريا ثم ابنه يحي عليهما السلام وبعدها بسطت فيها قصة مريم الصديقة المليئة بالمعجزات، فقصة ابنها عيسى عليه السلام وعبوديته لله تعالى، ورحمة الله بهما، كما ان محور السورة يدور حول صفة الرحمة ومقام العبودية ، فمريم عليها السلام من أفضل الأمثلة لذلك، فقد عبدت الله تعالى على أحسن وجه والله تعالى ظللها برحمته التي وسعتها في كل لحظة من حياتها.

إذ تظهر الصلة بين اسم مريم ومعنى العبودية، فاسمها في حد ذاته يعني العابدة بلغتهم، وقد نذرتها أمها خالصة لعبادة الله تعالى، وهي بدورها بلغت الغاية في مقام العبودية لله عز وجل، ومن هنا نستنتج وجه المناسبة بين اسم السورة ومحورها الذي يضم غايتين هما:

أولا: العبودية، والطاعة الخاصة لله عز وجلّ، وهي الغاية من خلق الإنسان لقوله تعالى: " وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون" .

ثانيا: الرحمة التي تدل كمال الفيض الرباني[1].

[1] – ينظر، نخبة من العلماء والمفسرين وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مج4، ص408.

المطلب الثالث: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها.

لقد فتحت السورة بالأحرف المقطعة كهيعص وهي كما يقال عنها براعة الاستهلال والتي لا يعرف معناها إلا الله عز وجلّ، إذ تدل على أن القرآن معجز بألفاظه وكذلك تؤكد أن القرآن الكريم كتاب عربي مبين في حروفه وألفاظه وعباراته، وفي ختام السورة ذكرت الحكمة من نزوله بلسان عربي إذ يقول عزّ وجلّ: [1] "﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾"[2].

وكذلك افتتحت السورة الكريمة بذكر نبي الله زكريا عليه السلام ورحمة الله تعالى به وعنايته به ورعايته له والثناء عليه بالذكر الحسن الحكيم وذلك لتحقيقه لعبودية ربّه عز وجلّ إذ يقول: " ﴿ كهيعص ، ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾[3] ، فقد خلد ذكره عكس ما ذكر في ختام السورة في القوم الذين نسوا ومحيت آثارهم بعد كانوا ملء الأسماع والأبصار[4]، إذ يقول تعالى في ختام السورة: "﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾[5].

- وكذلك فتحت بالرحمة: "﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ ﴾[6]" وختمت بها في قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾[7]

---

[1]. ينظر، المرجع السابق، ص 408.

[2] – سورة مريم، الأية 97

[3] سورة مريم، الأية 01.-02.

[4] ينظر، نخبة من العلماء والمفسرين وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، ص409.

[5] – سورة مريم، الأية 98.

[6] سورة مريم، الأية 19.

[7] سورة مريم، الأية 96.

المطلب الرابع: المناسبة بين مقاطع السورة ومحورها العام

1- مناسبة مقدمة السورة لمحورها العام.

لما كان حديث السورة حول رحمة الله تعالى بعبده زكريا والذي دعا ربه بنداء خفي، فرحمة الله نالت زكريا، إذ حقق العبودية لربه وكانت تلك الرحمة في أن وهب الله له الولد " يحي عليه السلام" وقد بلغ من الكبر عتيا وامرأته عاقر، وقد ضرب الله مثلا بنبي فهم أكثر الخلق مسارعة للخيرات وهم النموذج المثالي للكمال البشري من ناحية عبادة الله تعالى[1].

2– المناسبة بين مقاطع السورة ومحورها:

لا بد من تناسب أجزاء السور مع المحور العام لها، فكل القصص الواردة في السورة تصب في واحد يشمل السورة بكاملها وهو مظاهر رحمة الله، والسعي لعبادته وتوريث دينه، وتنزهه سبحانه وتعالى عن الشريك.

[1] – ينظر، نخبة من العلماء والمفسرين وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، ص 412-413.

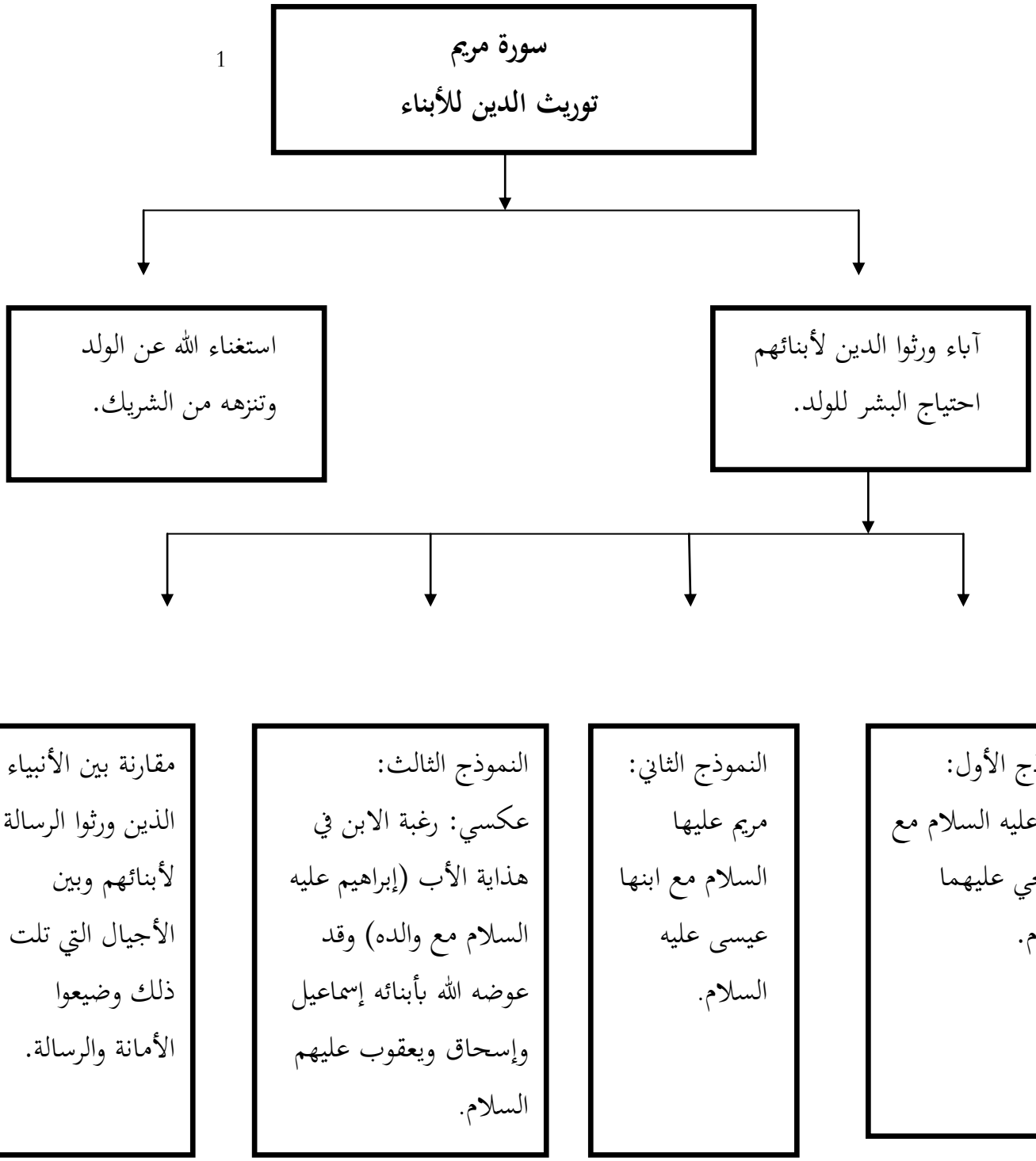

[1] – ينظر، محمد ماضي، مدارسات سور القرآن (مدارسة سورة مريم)، ح19.

المقطع الأول: [الآيات 1–15]

قصة زكريا وابنه يحي عليهما السلام ورحمة الله بهما

قال تعالى: ﴿كهيعص ،ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ، قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ،وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ، يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ، قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ، قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ، قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا، فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ، يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا، وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ، وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ، وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [1]

أ– المعنى الإجمالي:

بدأت هذه الآيات بقوله تعالى ﴿كهيعص) ﴾[2] وهي من الحروف المقطعة، فهي كما تسمى براعة الاستهلال، إذ لا يعلم معناها إلا الله تعالى، ويعبر عن تحدي الله للعرب القدامى الجاهليين إذ كانوا أقحاح على السليقة، فأعجزهم بما برعوا فيه، إذ تشوق كما يأتي بعدها من الآيات فمعجزتها لا يعلمها إلا الله، بالرغم من أن العرب يملكون هذه الحروف ويعرفونها ولكنهم عاجزون عن تركيب مثلها كما جاء في القرآن الكريم[3].

كما رأى زكريا عليه السلام أنه كبر وضعف، فخاف أن يموت دون أن ينوب منابه أحد في دعوة الخلق إلى ربهم والنصح لهم، فشكا إلى الله تعالى ضعفه وناداه نداء خفيا، ليكون أكثر

[1] سورة مريم، الأية 01-15.

[2] سورة مريم، الأية 01.

[3] – ينظر، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مج4، ص 414-415.

إخلاصا له، إذ سأل الله ولدا ذكرا صالحا، يبقى بعد موته ويكون وليا من بعده ويرضي الله وعباده، ومن فضل رحمة الله بعباده أن يرزقهم ولدا صالحا جامعا مكارم الأخلاق ومحامد الشيم، فاستجيبت دعوته وبشره الله بغلام اسمه يحي ولم يسمى قبله بهذا الاسم، وقد أضاف طلبا آخر من الله تعالى وذلك بأن يزيده علما، فمنعه الله من الكلام لمدة ثلاثة أيام، فقد منع من مخاطبة البشر وأمر بالاستغفار والتسبيح، وهذا من الأدلة على قدرة الله العجيبة فاستبشر بهذه البشارة العظيم، فعكف في محرابه امتثالا لأمر ربّه، وشكرا له على رحمته، وبعدها خرج على قومه فأوحى إليهم بالإشارة فقط، فالبشارة بيحي مصلحة دينية وهي حق الجميع[1].

وبعدها جاء ذكر يحي عليه السلام، وذكرت ولادته وما صاحبها من فرح وبهجة وسرور إلى أن كبر وأمر بأخذ التوراة وفهمها والعمل بها ودعوة الناس كذلك للعمل بها، وقد من الله عليه برحمته منذ صغره فظهر ذلك في حكمته وحست تدبره، وقد أودع الله في قلبه حنانا ربانيا، فقد وازن بين الجد والعزم وكان ذلك برفق وحنان، فق كان مطيعا لله عز وجل، يمتثل لأوامره ويبتعد عن نواهيه، وقد كان متواضعا ليّنا، بارّا بوالديه، فقد سلم الله تعالى عليه بتحية مباركة لإخلاصه لله عز وجل، فاستحق السلام الذي يحفظه من كل شيء، ويكون مطمئنا راضيا[2].

ب– المناسبة بين هذه القصة ومحور السورة:

بما أن محور السورة يتحدث عن رحمة الله تعالى، فقد تجلى هذا في بداية السورة في رحمة الله بعبده زكريا عليه السلام، حيث استجاب الله لدعائه، وبشره بيحي بعد الشيخوخة وقطع الرجاء وعقم زوجته، وما اتصف به يحي من الرحمة التي زرعها الله في قلبه، فبرحمة من الله ولد هذا النبي

[1] – ينظر، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 450-451.

[2] – ينظر، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مج4، ص 421-422.

ونشأ وترعرع في جو مليء بالعبادة والإيمان، فاتخذ هذا نهجا لحياته، فقد كان بارا بوالديه، مطيعا لربه، فقد جمع بين الحزم والعزم والرحمة واللين[1].

ج– الهدايات المستنبطة:

- جبلت النفوس على حب الأولاد لقوله تعالى: "﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[2].
- استحباب السرية في الدعاء لأنه من أوجه الإخلاص فهو أقرب للاستجابة.
- فضل ذكر الله المستمر والتضرع له وأحسن مثال هو قصة زكريا عليه السلام.
- نستنتج من قصة نبي الله يحي الدعوة إلى الجد والاجتهاد في طلب العلم ونصح العباد.
- نرى أن الحنان والرحمة صفة يغرسها الله في قلب من يحب منذ ولادته.
- وجوب البر بالوالدين وطاعتهم[3].

المقطع الثاني: [16–40]

قصة مريم الصديقة وابنها عيسى عليهما السلام.

قال تعالى: "﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا، فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ، قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ، فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ، فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ، فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ

[1] – ينظر، المرجع السابق ، ص 422.

[2] سورة الكهف ، الأية 49.

[3] – ينظر، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، ص 422–426

شَيْئًا فَرِيًّا ، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ، ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ، مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ، فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [1]

أ– المعنى الإجمالي:

بعدما ذكر الله لزكريا عليه السلام والأمر العجيب الذي حدث معه جاءت قصة مريم بما هو أعجب من ذلك.

فقد ذكرها الله في كتابه العزيز في أكثر من موضع وذلك جزاءً لعملها الفاضل وسعيها في ارضاء ربّها، وقنوتها له، فقد ابتعت عن أهلها، وذلك لتنفرد بعادة الله في سكينة وإخلاص وخضوع، حتى نزل عليها جبريل عليه السلام في أبهى صورة، على هيئة رجل فخافت منه واستعاذت بالله منه، ولما رأى جبريل خوفها طمأنها بقوله أن رسول من الله جاء لها ببشارة عظيمة، وهو أن الله سيهبها ولذا يكون نبيا ورسولا، فتعجبت من ذلك لأنه لم يمسسها بشر وذلك دليل قدرة الله تعالى والباقي مجرد أسباب ليس لها تأثير إلا إذا أمر الله بذلك، وقد أفاض الله عليه بالرحمة وعلى أمه وعلى الناس، فكما حملت به خافت من الفضيحة وابتعدت عن الناس، اذ تمنت لو ماتت قبل الحادثة وكانت نسيا منسيّا، فحماها الله وأمن لها ولادة سهلة فقد جعل لها نهرا

[1] سورة مريم، الأية 16-40

لتشرب به وتمرا طريا، حتى تنتفع به، أما جهة قول الناس فأمرها أن لا تكلم أحدا، حتى رجعت لأهلها تحمله، فغضبوا لذلك إذ كانت بنت لعائلة صالحة تقية، فأشارت إلى عيسى عليه السلام فتعجبوا لذلك وكيف لصبي في المهد أن يتكلم وكان ذلك من أعظم معجزات الله، إذ لم تجري العادة على ذلك، فرد عليهم بأنه عبد الله ليس بالإله ولا ابنا له، وهذا كان ردّا على النصارى والمشركين الذين ادعوا لله ولدا –حاشاه– وأخبرهم بأنه نبي مبارك أوصاه الله بعبادته والبر بوالدته، وقد جعله الله سالما من يوم ولادته، فحفظه الله من الشيطان والبشر والعقوبة، والأهوال، وبعدما بين الله تعالى حال عيسى ابن مريم، ذكر الفرق الضالة التي اختلفت فيه فمنهم من قال أنه هو الله ومنهم من ظن أنه ابنه ومنهم من قال أنه ولد بغي فجزاؤهم جهنم لكفرهم[1].

ب– وجه المناسبة بين هذا المقطع وما يسبقه.

بعد ذكر الله عز وجل لقصة زكريا وأنه أوجد منه ولدا صالحا رغم كبر سنه وعقم زوجته، وهذا أمر عجيب، جاء بأعجب منها وهو ولادة عيسى عليه السلام دون أب، إذ تدرج من القصة الأولى بخلق ولد من أبوين فانيين إلى ولد من دون والد، فالقصتان بينهما تناسب وتشابه، إذ ذكرهما معا في سورة آل عمران وأعاد قرنهما هنا لتقارب المعنى بينهما[2].

ج– المناسبة بين قصة مريم وعيسى عليهما السلام ومحور السورة:

نرى ارتباطا وثيقا بين هذه القصة والمحور العام للسورة، فهذه الأخيرة تحدثت عن رحمة الله تعالى وقد تجلت هذه الرحمة في قصة مريم الصديقة وابنها عيسى عليهم السلام، والسورة جاءت لتثبت وحانية الله تعالى، وهذا ما دلّ عليه ميلاد عيسى عليه السلام، وهذا رد على من ادعى لله ولدا، بل هو عبده ونبيه، خالص وكامل العبادة لله تعالى هو وأمه عليهما السلام[3].

[1] – ينظر، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص 452-454.

[2] – ينظر، نخبة من علماء تفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لصور القرآن الكريم، م ج 04، ص428.

[3] – ينظر المرجع نفسه، ص 443.

د– الهدايات المستنبطة:

- مريم عليها السلام من أروع الأمثلة التي يتقد بها الصالحون وينتفعوا من سيرتها.
- دلت هذه القصة على شرف مريم عليها السلام وعفتها وكرامتها وحشمتها وتقواها لله عز وجلّ.
- كراهية تمني الموت إلا في حالة حدوث أمر لا طاقة للإنسان له من فتن وخوف المؤمن على نفسه منها.
- فوائد التمر للحامل، وهذا ما تثبته الدراسات العلمية اليومية، فقد سبقها القرآن بقرون.
- جاءت القصة كأبلغ دليل ارتكبه النصارى في حق عيسى عليه السلام وتشويه صورته[1].

المقطع الثالث [41–50]

رحمته بإبراهيم عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ، قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ، قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ، وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ، فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ، وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا)﴾ [2].

[1] – ينظر، المرجع السابق، ص 443–446.

[2] سورة مريم، الأية 41–50.

أ–المعنى الإجمالي للقصة (المقطع):

لقد أمر الله بذكر ابراهيم عليه السلام وذلك لمكانته، إذ كان والده يبيع الأصنام ويعبدها، فقد نادى والده بالرغم من عصيانه بنبرة لطيفة فيها عاطفة قوية نابعة من فطرة نقية وهذا وإن دل إنما يدل على وجوب البر بالوالدين حتى وإن كانا من العصاة، فقد نادى والده هكذا حتى يستمع له ويحن قلبه، فأول ما حاجّه به دليل لا مجال لذكر أنه إذ قال له أتعبد ما لا يسمع ولا يبصر فهي أصنام من صنع يديه، لا يمكنها أن تنفع بنفسها فكيف تنفعك، فاخبر والده أنه أوتي من العلم ما يستطيع به أن يهديه الصراط المستقيم فدعاه أن يتبعه في عبادة الله وحده وطاعته، فقد أمر والده بالابتعاد عن اتباع الشيطان وعدم عبادته فمن اتبعه فقد اتخذه وليا من دون الله وعندما ذكر الرحمن "أن الشيطان كان للرحمان عصيا" دل ذلك على أن المعاصي تمنع على العبد وصول رحمة الله إليه والطاعة من أهم الأسباب لنيل الطاعة، فتدرج الخليل عليه السلام في دعوة أبيه، فأخبره بالعلم الذي أتاه إياه الله، وإن أطاعه يهديه إلى صراط الله الحق المستقيم، وإن لم يفعل فقد حذره بعقاب الله تعالى، فأعرض والده عن ذلك ولام إبراهيم عليه السلام عن رغبته عن الأصنام وعدم اتباع طريق والده، ورغم هذا إلا أن نبي الله لم يعص والده وإنما استغفر الله له وطلب له الهداية، فاعتزل أهله وما يعبدون وجزاء لعبادته الخالصة وهب الله له ذرية صالحة وهم أبناؤه إسحاق ويعقوب وكذلك وهبهم الله برحمته إذ جعلهم أنبياء صديقين صالحين فصاروا قدوة للمقتدين وأئمة مهتدين، وجعل الله ذكرهم دائما فضلا منه[1].

وقد من الله على نبيه إبراهيم بدعاء سائر دائم على ألسنة كل المسلمين الذين اتبعوا طريق الحق وهو الصلاة الإبراهيمية.

[1] – ينظر، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تقسير كلام المنان، ص 455-456.

ب– مناسبة القصة للمقاطع التي سبقتها.

بعد ذكر وابنه يحي عليه السلام ثم التطرق لقصة مريم الصديقة الفاتنة وابنها عيسى عليه السلام، جاء حديث عن نبي الله وخليله إبراهيم عليه السلام، فقد ذكر في القرآن لاتصافه بعظيم الفضائل وكريم الشمائل، إذ كان صديقا صادقا مع الله ومع الناس، ومن كمال إيمانه وعبوديته وتربيته الحسنة دعوته لأبيه لاتباع صراط الحق المنبر ورغم إعراض والده وإصراره على الضلالة وشتمه لابنه وتهديده له بالرحم والقتل والتبري منه، إلا أن نبي الله خاطبه بكل أدب وبقي بارا به، وفي مناسبة هذه الآية لقصة مريم ولابنها عيسى عليهما السلام، يكمن في أن كلا القصتين اختلف فيهما الأحزاب ففي الأولى ذكر تعالى ضلال النصارى، وفي الثانية ذكر ضلال عبدة الأوثان والأصنام، إلا أن ضلال الفريق الثاني أعظم إذ عبدوا صنما وأنكروا النبوة، ففي هذا الصدد ذكر قصة إبراهيم عليه السلام وأبيه، إذ لم يسلك طريق أهله وهذا دليل على قول الرسول صلى الله عليه وسلم في أن ذلك متلقى من الوحي[1]، فلم يسجد لهم قط ولم يتبع والده فهداه الله منذ صغره وهذا دليل على رحمة الله به.

ج– مناسبة قصة إبراهيم عليه السلام لمحور السورة:

تبين هذه القصة الكريمة شمولية رحمة الله بعباده إذ يصطفي ويهي من يشاء، وسيدنا إبراهيم عليه السلام أبلغ دليل على ذلك، فترى أن اتساق هذا المقطع وانتظامه مع محور السورة وما تدور حوله ظاهر، فذكر فيه رحمة الله بنبيه، الذي بدروه أخلص في عبادة الله تعالى، وأفرد بها ودعوة الناس لعبادته وتجريد التوحيد من الشرك وما شابهه[2].

[1] – ينظر، نخبة من علماء تفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لصور القرآن الكريم، م ج 04، ص 447-448.

[2] – ينظر المرجع نفسه، ص 451.

هـ– الهدايا المستنبطة:

- وُصف إبراهيم عليه السلام بالصدق قبل النبوة،﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾[1]، وهو التأدب في الحوار مع المخالف والخطاب بأسلوب لطيف كما فعل النبي إبراهيم عليه السلام مع أبيه.
- تدرج إبراهيم عليه السلام في حواره مع أبيه حيث بدأ بالملاطفة وبراعة الاستهلال ثم الاستفهام الانكاري، وبعدها التقرير الخبري، يليه النهي الصريح، ثم الترهيب وهذه من فنون الحوار التي تعين على نجاحه.
- تكرار اسم الله بالرحمن وذلك ليتدبر والد نبي الله إبراهيم عليه السلام في هذا الرّب الرّحيم الذي أمهله فلو شاء لعجل بعذاب الكفار[2].

المقطع الرابع: [51–58]

رحمة الله بموسى وهارون واسماعيل وإدريس عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿" وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ،وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا، وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ، وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ، وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ، وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ،وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ، أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[3] .

[1] سورة مريم، الأية41.

[2] – ينظر، نخبة من علماء تفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لصور القرآن الكريم ، ص 451-452.

[3] سورة مريم، الأية 51-58.

أ–المعنى الإجمالي:

في هذه الآيات ذكر لبعض أنبياء الله ورسله وهم موسى وأخاه هارون وإسماعيل وإدريس ثم أجمل القول بكل ذرية آدم ومن اتبعهم من النبيين.

وذكر موسى عليه السلام في هذا القرآن العظيم وذلك لتبجيله وتعظيم مكانته وشأنه، والتعريف بمقامه الكريم، فقد كان مخلصا لله تعالى الذي اختاره واصطفاه على العالمين، إذ وصفه الله بالإخلاص في كل أعماله، فأخلصه الله لإخلاصه له، –إخلاص موسى عليه السلام موجب لاستخلاصه– فقد جمع الله له بين الرسالة والنبوة، فالرسول تعني أنه حامل لرسالة يجب إبلاغ الناس إذ تقتضي تبليغ كلام مرسل، أما النبوة فتعني تخصيصه وإنزال الوحي عليه دون غيره، فالنبوة هي علاقة بينه وبين الله، أما الرسالة فتكون بينه وبين الناس، وقد وصف بكليم الله، لقول الله تعالى " وناديناه من جانب الطور الأيمن" واليمن من البركة، ومن أكبر أوجه الإحسان لموسى عليه السلام ورحمة الله به أن جعل أخاه هارون نبيا وأشركه معه فنبوة هارون تابعة لنبوة موسى عليه السلام، إذ ساعده على أمره وأعانه عليه، بعد أن طلب موسى ذلك من ربه فاستجاب له ذلك[1].

ثم جاء ذكر إسماعيل عليه السلام، هذا النبي الذي خرج من صلبه أفضل الشعوب وأجلها وهو الشعب والعرق العربي الكريم، فقد كان صادق الوعد، وما إن وعد وعدا، إلا أوفى به مع ربه أو مع العباد، وفي أمثلة ذلك أن وعد من نفسه الصبر وخضع لأمر أبيه بذبحه، فقد وفى بذلك فكرمه الله بالرسالة والنبوة، فقد كان مطبقا لأوامر الله عنه، وداعيا لأهله للعمل بها فكان يأمرهم بالصلاة والزكاة فرضي الله عنه، وكذلك هو رضي بربه، وبعدها جاء الحديث عن إدريس الذي رفعه الله مكانا عليا، إذ كان صديقا ونبيا، فالصديق أي كمال الصدق على وزن فعيل صيغة مبالغة، فقد جمع بين التصديق التام، والعمل الصالح، والعلم الكامل، واليقين الثابت، وبين اختياره لرسالته واصطفائه لوحيه، وهذا بفضل من الله، وبعد ذكر هؤلاء الأنبياء وفضائلهم ومراتبهم، أكد

[1] – ينظر، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 456.

الله بأنه أنعم عليهم نعمة لا بعدها نعمة ومن عليهم بالنبوة والرسالة، فقد اصطفاهم على العالمين، وأجمل بعهم في آية النبيين من ذرية آدم ونوح وإبراهيم وإسرائيل الذي اتبعوا طريق ربهم فأطاعوه، فهذه خير البيوت والذين يخرجون من سجدا لله عند سماع آياته، وذكر في الآية اسم الرحمن دلالة على أن كلمته وآياته من رحمته بعباده، وفضله عليهم، فقد أنقذهم من الجهالة والضلالة[1].

ب– مناسبة الآية للمقاطع التي سبقتها:

كما منّ الله على زكريا ويحي ومريم وعيسى عليهم السلام، و كذلك إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم وشملتهم رحمته، كذلك كان الحال مع موسى وأخيه هارون وإسماعيل وإدريس وغيرهم من النبيين فمن هداهم الله واصطفاهم، فأعلى مقامهم وفضلهم على عباده تفضيلا، وقد بينوا لنا أهمية العائلة وأولهم بالمعروف، إذ بدأوا في الهداية بأهلهم وعائلاتهم وهذه العلاقة من الله عز وجل فطرنا عليها فهكذا يبنى المجتمع، غذ وجبت الحمة فيما بينهم[2].

[1] – ينظر المرجع السابق نفسه، ص 457.

[2] – ينظر، نخبة من علماء تفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لصور القرآن الكريم، م ج 04، ص 453.

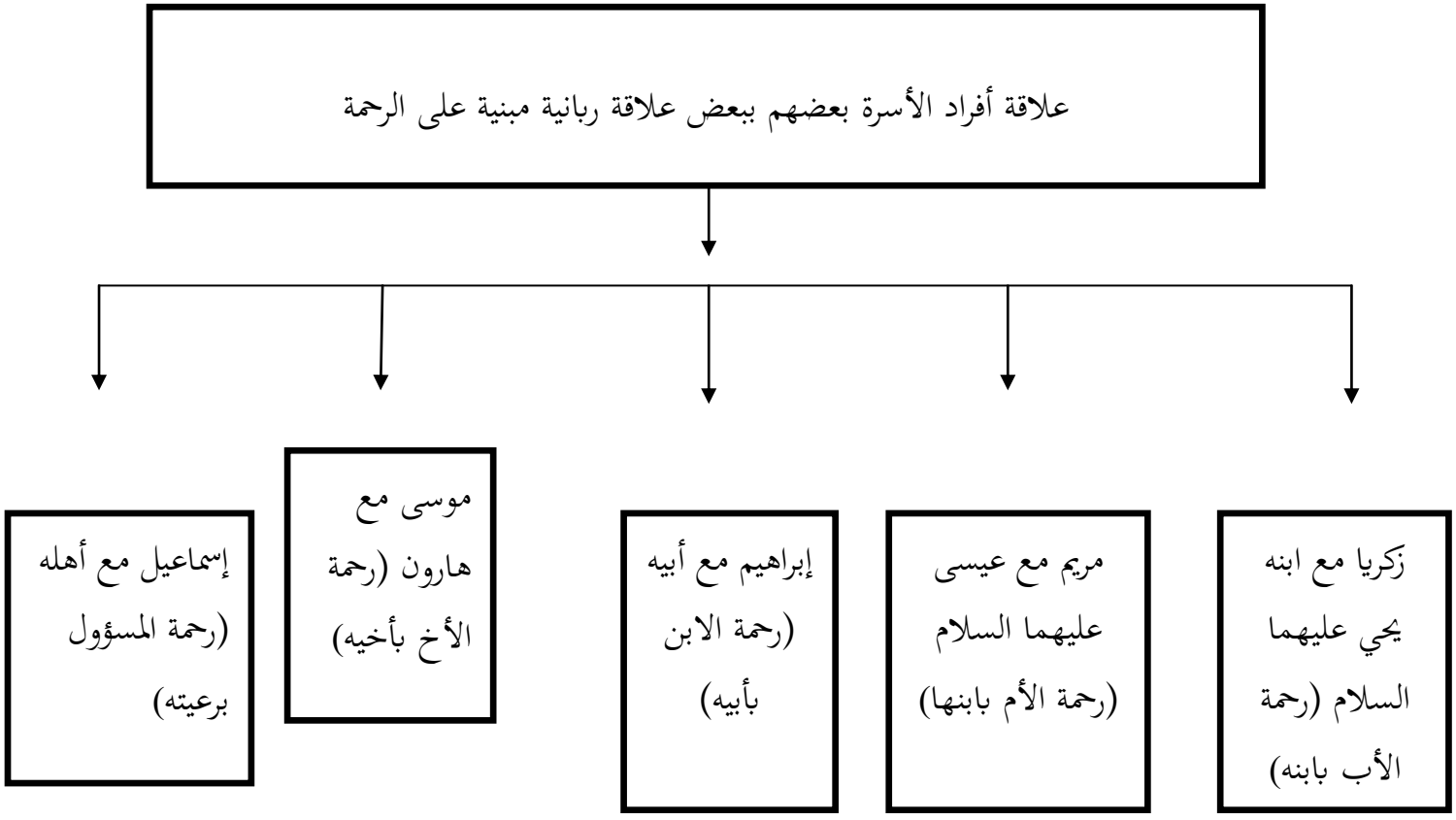

فكانت الرحمة من صفات الله عز وجل بعباده فقد فطرها عليهم ليكونوا رحماء على بعضهم البعض[1].

ج– مناسبة المقطع لمحور السورة:

تتحدث الصورة عن تمام العبادة لله تعالى ورحمته لهم وهذا ما تجلى في هذه القصة الكريمة، ومن تمام رحمة الله بهم فقد وهبهم بالرسالة والنبوة والخلف الصالح، فأح أسماء هذه السورة: هي سورة المواهب[2].

[1] – ينظر/ محمد ماضي محمد ماضي، مدارسات سور القرآن (مدارسة سورة مريم).ح 19.

[2] – ينظر المرجع نفسه، ح19

وقد سميت سورة بسورة المواهب[1]

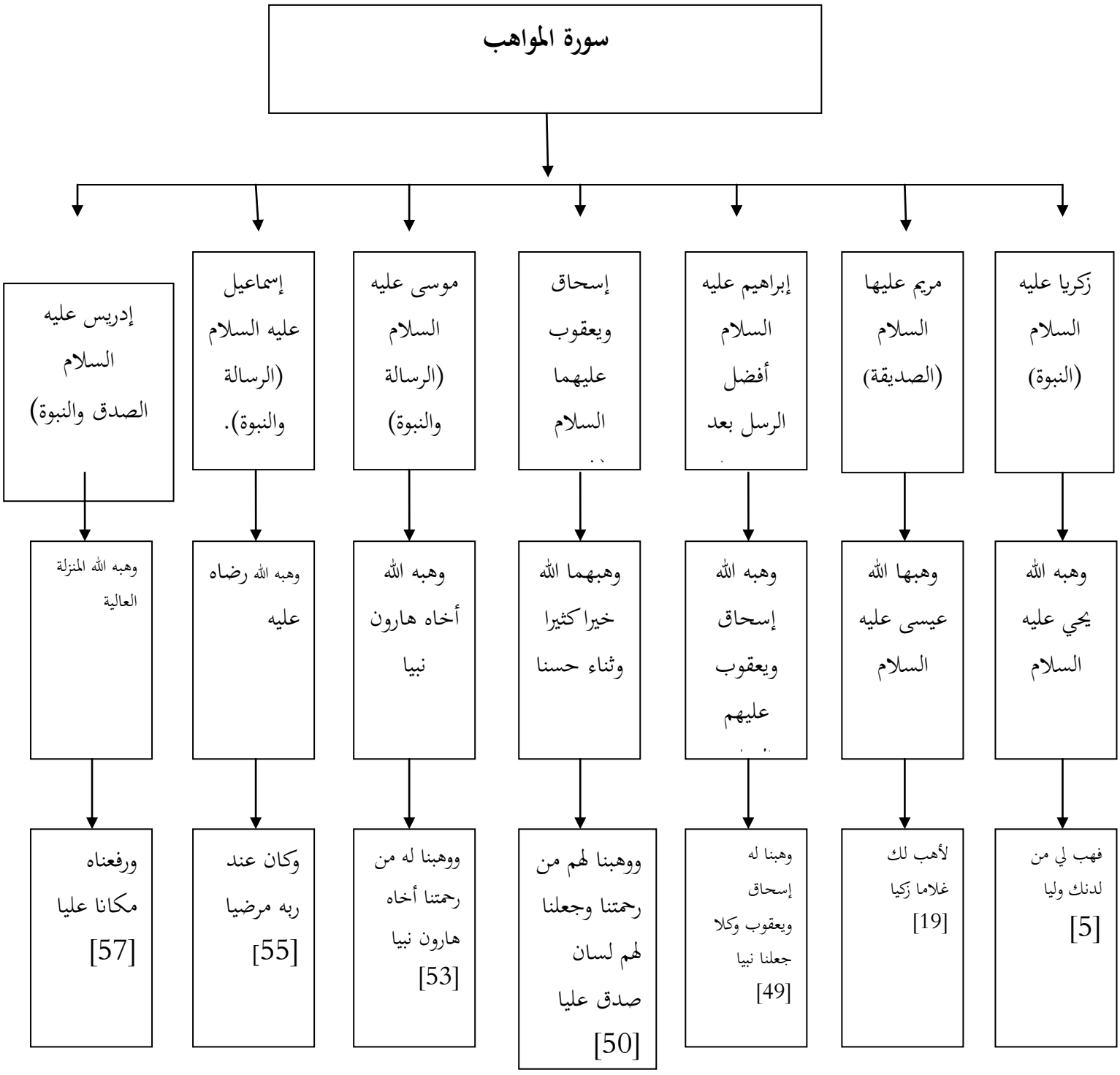

[1] ينظر، المرجع السابق،ح 19

د– الهدايات المستنبطة:

- من أسباب كسب رحمة الله وإنعامه وتفضله الإخلاص في عبادته والتقرب منه.
- وجوب تعهد الرحم ونصحهم وارشادهم وصلتهم بالله، وهذا ما فعله نبي الله إسماعيل عليه السلام بأمر أهله بالصلاة والزكاة وغيرها.
- ملازمة الزكاة للصلاة، فالصلاة حق لله عز وجل والزكاة حق العباد، وعند الوفاء بهذين الحقين يحصل رضى الله تعالى على عباده[1].

المقطع الخامس: [59–65]

طريق النجاة

قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا،جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ، تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ، وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾[2].

يقسم هذا المقطع إلى قسمين، المحرومون الضالون وورثة الجنان ثم تنزل الوحي.

أ– المحرومون وورثة الجنة:

﴿"فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [3].

[1] – ينظر، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مج4، ص458–459.

[2] سورة مريم، الأية 59–65.

[3] سورة مريم، الأية 59.

1- المعنى الإجمالي:

بعد أن ذكر الله أنبياءه الذين اجتباهم برحمته بهم، عقب ذلك بمن حرموا من هذه الرحمة والاصطفاء، فقد اختاروا طريق الضلالة واتبعوا الشهوات وعصوا أمر ربهم، ثم ذكر عاقبة أعمالهم وسوء مالهم، ويفتح الله باب التوبة لمن تدارك منهم نفسه، فيقبل الله توبته و يدخله جنان عدن خالدا فيها، قال تعالى: "﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾[1] ، فقد ورثوها بصلاح أعمالهم ونزلوها بفضل ربهم فهذه هي الوراثة الصالحة[2].

2- المناسبة:

بعد أن وصف الله عزل وجل الأنبياء ومن تبعهم بصفات المدح والثناء فقد اتبعوا أوامر الله وتركوا ما نهوا عنه، وذكر بعدهم القوم الذين اختاروا طريق الشقاء وأضاعوا واجبات الدين والتهوا بالملذات والشهوات، وقد بين الله أن مصيرهم نار جهنم، وبعدها بيّن لهم طريق النجاة وهو التوبة النصوح فباب المغرفة مفتوح لمن خلصت نيته لله تعالى، وبشر من الأتقياء الصالحون بالجنة التي سيرثونها خالدين متنعمين فيها أبدا[3]، فيظهر التسلسل والترابط بين الآيات بأبلغ شكل.

ب- تنزل الوحي بأمر الله تعالى:

تتنزل الملائكة بأمر من الله وهذا ما بينته الآية: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[4] .

ب- المعنى الإجمالي للآية:

لمعرفة معنى هذه الآية وجب معرفة سبب النزول وهذا ما يدل عليه الحديث الشريف: " عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه لجبريل: "ألا تزورنا أكثر مما تزورنا

[1] سورة مريم، الأية 63.

[2] ينظر، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مج4، ص 459-462.

[3] – ينظر المرجع نفسه، ص 460.

[4] سورة مريم، الأية 64.

قال فنزلت [1]."﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا"﴾ [2] .

إذ لا تتنزل الملائكة إلا بأمر الله عز وجل، فكل شيء بأمر من الله وبمشيئته، إذ يسير الله كلّ شيء، فهو الخالق المدبر المالك لكل شيء وهو المعبود الوحيد لا إله إلا هو، والعبادة تحتاج لصبر وثبات، لفعلها على أكمل وجه لله الرحمن الذي ليس قبله ولا بعده إلا هو ولا سمي باسمه أحد[3].

ج– وجه المناسبة بينها وبين الآية التي قبلها:

بعدما جاء الحديث المشوق عن الجنة بين الله الطريق المؤدي لذلك إذ يحصل ذلك باتباع الوحي، وناسب ذلك أن نزول الملائكة والوحي لا يكون إلا بأمر من الله تعالى، ومن أوجه المناسبة بينهما أنه لما ذكر نزول جبريل عليه السلام على مريم، بين هنا أن جميع الملائكة لا تتنزل إلا بأمر من الله كما ذكر الجنة وورثتها، بين هنا طريق الحصول والوصول إليها وذاك باتباع العقيدة الصحيحة، وافراده تعالى بالربوبية والعبودية والألوهية والعبادة تحتاج إلى صبر وتأني[4].

هـ– الصلة بين المقطع ومحور السورة:

لقد وسعت رحمة الله وشملت جميع خلقه وهذا ما جاء به المعنى العام للسورة ومحورها، فالله تعالى رحيم حتى مع الكفار وذلك بإمهالهم ودعوتهم وفتح باب التوبة لمن أراد الغفران، ثم رحمته عباده المؤمنين إذ منّ عليهم بالجنة، وقد سهل ويسر الطريق إليها وذلك بمجرد الإيمان والعمل الصالح الذي ترتاح له القلوب وتطمئن به النفوس، ومن رحمته كذلك إنزال الملائكة الهدي للناس

[1] – ينظر، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مج4، ص 462.

[2] سورة مريم، الأية 64.

[3] – ينظر، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مج4، ص 463.

[4] – ينظر المرجع نفسه، ص 462-463-460

وحتى ينال الإنسان هذه النعمة الربانية وهذه الرحمات، فعليه أن يكون شديد الصبر فالثبات على الطاعات أمر صعب[1].

و– الهدايات المستنبطة:

الانغماس في الشهوات سبب لضياع طريق الحق وإضاعة الصلوات التي تسمو بها روح العبد وتهديه وتعصمه من النار.

وارثة النسب لا تجدي ولا تنفع إن لم ترتبط بالعمل الصالح فوارثة الجنة لا تنال إلا بالإيمان والإخلاص .

لا تتنزل الملائكة إلا بأمر من الله فهم خلق مأمورون [2].

❖ **مناسبة خاتمة السورة للمحور العام**

قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ،فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا، وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾[3].

فتحت السورة ببيان محبة الله لعباده، وكذلك ختمت بها ثم بين الحكمة من نزول القرآن وتسييره وذلك للبشارة والهداية وتبيان رحمة الله الواسعة بعباده وأنبيائه، خاصة فقد سميت السورة بسورة الرحمات [4].

[1] – ينظر المرجع السابق ، ص 464.

[2] ينظر، المرجع نفسه ، ص 464-465.

[3] سورة مريم، الأيات 96-98.

[4] ينظر، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مج4، ص 481-483.

ومن أسماء سورة مريم: سورة الرحمات[1]

[1] محمد ماضي محمد ماضي، مدارسات سور القرآن (مدارسة سورة مريم).ح 19.

خاتمة

خاتمة

لقد من الله علينا باختيار هذا الموضوع ، وزادنا شرفا أن اخترنا سورة كريمة من كتابه العزيز، بالرغم من أن الأمر لم يكن باليسير، فالربط بين علم قديم كان ثمرة جهود علمائنا في البحث عن أسرار الإعجاز في القران الكريم، وبين علم حديث لم يمض على ظهوره نصف قرن، ومع ذلك سعينا للبرهنة بمنهج حديث على قضية التماسك في النص القرآني من وجهة نظر علم قديم ، وخرجنا ببعض النتائج التي حوصلنا فيها اغلب ما عرضناه في الجانبين النظري التطبيقي ومنها:

- كثرة التعريفات لمصطلح "النص"توحي بتعدد المنطلقات والأسس والتصورات.
- أن العرب وقفوا على النص من خلال وحدته المعجمية حتى وإن لم يضعوا له مصلحا محددا.
- يبدو تأثير الدراسات الغربية واضحا في تعريف اغلب الباحثين العرب للنص.
- تلقى الباحثون العرب آليات التماسك النصي بوعي، والدليل على ذلك رجوعهم إلى تراثنا العربي الغني لاستخراج كل ما يلائم ويقابل ما طرحه "نحو النص".
- حققت آليات الترابط التركيبي والمعجمي التماسك على مستوى النص القرآني، وهذا ما رأيناه في أنواع المناسبة.
- يقوم التماسك النصي على معيارين وهما: الاتساق والانسجام.
- لقد اعجز القران الكريم أهل البيان، وأول ما لفت انتباههم الترابط والتماسك فيه، فكانت المناسبة هي الآلية التي حققوا بها إعجازه.
- لقد كان لعلماء القران والتفسير الأسبقية في الوقوف على أسرار ذلك التماسك الشكلي والدلالي بين آي وسور القران الكريم منذ أن لمعت تلك الفكرة في ذهن "أبي بكر النيسابوري".
- إجماعهم على انه علم خفي صعب المسالك لا يملك أدواته إلا من كان ثاقب الذهن ذو دراية بما لطف من المعاني يبين أمرين أولهما: انه ليس متاحا للجميع، وثانيهما شدة حرصهم على قدسية النص الكريم ,وخوفهم من الخوض في تأويلات قد لا تكون هي مراد الخالق عز وجل.

خاتمة

- أسهمت المناسبة في تحقيق التماسك بين مكونات السورة الواحدة .بل بين السور وخاصة المكية منها , وقد ثبت أنها من أهم الوسائل التي تسهم في تحليل أكثر فصل مكون للنص الأكبر.
- تتعدد المناسب بين نوعين،أولا المتعلقة بالألفاظ والتي تتكون من المناسب الصوتية، اللفظية والسياقية ، وثانيا المناسبة المتعلقة بالدلالة الحاصلة من التأليف.
- كشف التغريض عن مدى مناسبة العنوان ـ اسم السورة ـ لمضمونها .
- أتاحت المناسبة عدة آليات لتحليل سور القران الكريم ، مثل المناسبة على مستوى السورة المفردة والتي تحقق التماسك بين أجزاء النص الواحد ,والمناسبة على مستوى فوق السورة والتي تحقق التماسك بين مجموعة من السور، أي بين أجزاء النص الأكبر، ولذلك يعتبر القران الكريم نصا واحدا.
- تعد المناسبة من أقوى آليات الترابط الدلالي الذي حقق الانسجام من جهة بين سورة "مريم" والسورة التي تسبقها "الكهف"، أو التي تليها "طه"، وذلك من خلال استنباط أوجه الاتصال والترابط بين فواتحهما، خواتيمهما، مضمونهما ومقاصدهما، ومن جهة أخرى بشكل مفرد ,كالمناسبة بين اسم السورة ومضمونها ، وبين فاتحتها وخاتمتها، وبين اسمها وحدث مذكور فيها وهو قصة مريم ابنة عمران وابنها عيسى عليهما السلام، وبين مقاطعها.
- أن توقيفيّة ترتيب سور القران الكريم تحقق التماسك النصي بين آيات السورة الواحدة من جهة ,وبين سور القران الكريم من جهة أخرى .
- اشتملت سورة "مريم"على ثلاثة مقاصد وهي: إثبات وحدانية الله تعالى، وتنزيهه سبحانه عن الولد , واثبات البعث يوم القيامة.
- تضمنت سورة مريم قصصا عجيبة مثل ولادة عيسى عليه السلام من غير أب، وتكلمه في المهد وغيرهما من القصص التي تدل على عظمة الله سبحانه وتعالى.

- سميت سورة "مريم" بسورة الرحمات ، وقد لحضنا ذلك في جميع مقاطع السورة، إذ وسعت رحمة الله تعالى مخلوقاته عامة، وعباده خاصة .
- شملت رحمة الله كل عباده ، المؤمنون المتقون وحتى الكفار وذلك بإمهالهم وإعطائهم فرصة للتوبة ،أما بالنسبة لأنبيائه فقد كانت رحمته بهم عجيبة لا مجال لقياسها.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية ورش.**
- **الحديث الشريف .**

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن أبي الأصبع ا لمصري، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ط)، 1416هـ-1995م .
- ابن الزبير الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، تح: محمد شعباني وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب،دط ،1990.
- ابن جني، الخصائص ، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ط2 ، 1424 هـ ، 2002م ، ج2 .
- ابن عبد الكريم جمعان، إشكالات النص ، دراسة لسانية، النادي الأدبي، الرياض، ط1، 2009.
- ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1979م، مادة (ن.ص.ص)، ج5.
- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ/ 1990م.
- ابن هشام الأنصاري، معنى اللبيب، تح: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط2، 1997م .
- أبي عثمان عمرو بن الجاحظ ، البيان والتبين،تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ط7، 1418هـ/1998م.
- أحمد عفيفي، نحو النص، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2004م .
- أخرجه البخاري ، أبو الحسن علي النيسابوري ، أسباب نزول القرآن ، دار الإصلاح الدمام ، ط: الثانية، 1412 هـ - 1992 م .
- برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: محمد عبد الحميد، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط1، 1969م.
- جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج2، د.ط، 1341هـ/1922م.

- جلال الدين السيوطي ، أسرار ترتيب القرآن ، دار الاعتصام، القاهرة ، دط ، دت .
- جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد القادر عطا، دار الاعتصام، مصر، د.ط، 1398هـ ، 1987م .
- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكرالسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ج2،.
- حسين خمري، نظرية النص، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2007م.
- خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، عمان، ط1، 1434هـ/2013م.
- سعيد بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1997م.
- السيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط36 ، 1427هـ/ 2007م، ج 4.
- السيوطي، علم المناسبات في السور والآيات ويليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، تح: محمد بن عمر بن سالم بازمول، المكتبة المكية، ط1، 1423هـ-2002م .
- شرف الدين الراجحي، في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت) .
- صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي، بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، القاهرة، ج1، ط1، 1434هـ/2000م.
- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1992م.
- عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، دار الحامد، عما، ط1، 2004م.
- عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام، المطبعة الحميدية، ط1، 1388هـ.
- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلّا اللويحق، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 1430هـ-2009م.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، ط3، 1413هـ/1922م .
- عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء و المحدثين ، دار الوفاء، الاسكندرية، ط1 ، 2007م
- عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 2000م.

- فاضل صالح السامرائي، التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، دار ابن كثير، ط1، 1437هـ-2016م .
- فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، سوق البتراء، الحجيري ساحة الجامع الحسيني، ط2، 2007/1427.
- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، د.ط، ج3.
- ليندة قياس، لسانيات النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1430هـ/2009م.
- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2008.
- محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت: 1393هـ) ، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، الدار التونسية للنشر – تونس ، 1984 م ج 17 .
- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج1، د.ط، 14هـ .
- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجماعي، مصر، ط1، 2005م.
- محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعرفة، بيروت، ج1، ط، .د.ت.
- محمد حسين النقيب، الفاصلة في السياق القرآني (سورة مريم أنموذجًا)، اليمن، د.ت .
- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006م.
- محمد ماضي، سلسلة مدارسات سور القرآن، مدارسة سورة مريم، 9 يناير 2018م، ح19.
- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2.
- مصطفى شعبان المصري، في الإعجاز اللغوي في القرآن، دراسة لغوية أسلوبية في مناسبة اللفظ لسياق الحال، عبده الراجحي، المكتب الجامعي الحديث، د.ط، 2013 .
- مصطفى شعبان عبد الحميد، المناسبة في القرآن، المكتب الحديث، الإسكندرية، ط1، 2007.

- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتب العملية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.
- نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن ، مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الإمارات، مج4، ط1، 1431هـ-2010م .
- نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط6، 2005.
- نعمي الحمصي، فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت .

أطروحات الدكتوراء ورسائل الماجستير

- أحمد محسن خلف، التفسير اللغوي للقرآن الكريم عند ابن جني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، العراق، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، قسم اللغة العربية، 1436هـ/2014م .
- زاوي رحمونة، دور الانسجام في تماسك النص القرآني نماذج من سورة الأعراف، مذكرة ماستر، جامعة عين تيمشنوت، معهد الآداب واللغات، تخصص لسانيات الخطاب، 2019، 2020.
- ظافر كاظم عبد الرزاق، الجملة العربية في ضوء الدراسات اللسانية، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، مجلس كلية الآداب، 1432هـ/2011م.
- محمد عامر محمد، أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني، جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفى، كلية الآداب، 1432هـ/2011م .

قائمة المداخلات والدوريات والمنشورات

- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية وتحليل الخطاب، لسانيات النص وتحليل الخطاب، المؤتمر الدولي الأول، بحوث محكمة في لسانيات النص وتحليل الخطاب، الجمعية المغربية للسانيات النص وتحليل الخطاب، جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير المملكة المغربية، دار الكنوز لمعرفة العلمية، مج1، ج1، ط1، 1434هـ / 2013م .
- رشيد عمران، آليات التماسك النصي (الزركشي والسيوطي أنموذجان)، مقال مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، السنة الثانية، العدد 1، 2011 .

- وليد بوجلال، ملامح التماسك النصي في علوم القرآن، قراءة في كتاب "البرهان في علوم القرآن" للزركشي ، مجلة قراءات، مج13، عدد 01.
- نوال بومعزة، في إشكالية المصطلح، تحليل الخطاب، السنة الثانية (L.M.D) كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2013/2012 .

المراجع المترجمة

- جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997م.
- روبرت دي بوغراند، النص والخطاب والاجراء، تعريب، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1414هـ، 1998م.
- روبرت ديبوغراند وأخرون، مدخل إلى علم لغة النص، مطبعة دار الكتاب، مركز نابلس للكمبيوتر، ط1، 1413هـ/1992م .
- زنسيسلاف وأورزنباك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، تعريب: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، (د.ط)، 2003م.
- فولفجانغ هاينه مان، ديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم لغة النص، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2004.

فهرس الموضوعات

كلمة شكـــــــر.....

إهداء.....

مقدّمـــــــــــة.....**أ–هـ**

مدخل : مفاهيم عامة **02–15**

الفصـــــل الأوّل : التّماسك النّصي "دراسة نظريّة".

المبحث الأوّل: النّص والتّماسك النّصي..... **17**

المطلب الأوّل: مفهوم النّص لغة **17**

المطلب الثّاني مفهوم النّص اصطلاحا..... **18**

المطلب الثّالث: التّماسك النّصي.....**23**

المطلب الرّابع : التّماسك النّصي عند القدامى والمحدثين.....**26**

المطلب الخامس : أدوات التّماسك النّصي.....**38**

المطلب السّادس: أهمية التّماسك النّصي.....**40**

المبحث الثّاني : الاتّساق النّصي والياته.....**42**

المطلب الأوّل: مفهوم الاتّساق.....**42**

المطلب الثّاني: مفهوم الاتّساق في الدّراسات اللسانيّة النصية.....**42**

المطلب الثّالث : آليات الاتّساق **43**

المبحث الثّالث : الانسجام النّصي والياته **53**

المطلب الأوّل : مفهوم الانسجام **53**

لمطلب الثّاني:مفهوم الانسجام في الدّراسات اللّسانيّة الحديثة **53**

المطلب الثّالث : آليات الانسجام **54**

الفصـــــل الثّاني: المناسبة وأثرها في التّماسك النّصي

المبحث الأوّل: المناسبةَ (المفهوم والأهمية) **59**

المطلب الأوّل : تعريف المناسبة..... **59**

المطلب الثّاني : موضوع علم المناسبة.....60
المطلب الثّالث : التأليف في علم المناسبة.....61
المطلب الرّابع : دور المناسبة في تماسك النّص القرآني.....64
المبحث الثّاني : أنواع المناسبة.....67
المطلب الأوّل : المناسبة المتعلّقة بالألفاظ.....67
المطلب الثّاني : المناسبة المتعلّقة بالدّلالة الحاصلة من التأليف.....75
المبحث الثّالث : أقسام المناسبة.....77
المطلب الأوّل : ترتيب سور القران وآياته توقيفي.....77
المطلب الثّاني : المناسبة على مستوى فوق السّورة 80
المطلب الثّالث : المناسبة على مستوى السّورة الواحدة.....91

الفصـــــل الثّالث : المناسبة القرآنية في سورة مريم "دراسة تطبيقيّة

المبحث الأوّل : التّعريف بسورة مريم.....102
المطلب الأوّل : تسميتها.....102
المطلب الثّاني: آياتها.....103
المطلب الثّالث : ترتيبها.....104
المطلب الرابع : سبب النّزول.....104
المطلب الخامس : موضوعاتها.....105
المبحث الثّاني : المناسبة على مستوى فوق السّورة.....108
المطلب الأول : مناسبة سورة مريم للسّورة الّتي قبلها "الكهف".....108
المطلب الثّاني: مناسبة سورة مريم للسّورة التي تليها "طه".....112
المبحث الثّالث: المناسبة على مستوى السّورة.....116
المطلب الأول: المحور العام للسّورة.....116

المطلب الثّاني : مناسبة اسم السّورة لمحورها العام.....**118**
المطلب الثّالث : المناسبة بين فاتحة السّورة وخاتمتها.....**119**
المطلب الرّابع : المناسبة بين مقاطع السّورة ومحورها العام.....**120**
خاتمة..... **140**
قائمة المصادر والمراجع..... .. **144**
فهرس الموضوعات..... **150**
الملخص.....

ملخص:

للمناسبة اثر واضح في تماسك النص القرآني ، فدراسة موضوع المناسبة يعرف به علل الترتيب بين السور و الآيات ، و لقد تطرق هذا البحث لأهم آليات الاتساق والانسجام من خلال التحليل النصي لسورة مريم و بيان أوجه المناسبة على مستوى السورة ومناسبتها للسورة التي قبلها وللسورة التي بعدها و ترتيبها في المصحف .متبعين المنهج الوصفي التحليلي .

فالمناسبة تكشف اسرار الاعجاز القرآني الكامنة وراء تتابع سور القرآن و آياته و تظهر لنا معانيه و مقاصده

كلمات مفتاحية : المناسبة ، الاتساق ، الانسجام ، تماسك النص القرآني ، سورة مريم

Abstract:

The present research was meant to investigate the impact of Elmunasaba on the coherence of the Quranic text, highlighting the rational sequence among verses and Surahs. In this sense, it attempted to tackle the most important mechanisms of coherence and cohesion through the textual analysis of Surah Maryam, stressing the aspects of Elmunasaba in the surah itself as well as its relevant sequential order with the Surah before and after in the Quran. Following the descriptive analytical approach ,

Elmunasaba reveals the secrets of the Quranic miracles underlying the sequence of the surah of the Quran and its verses and Surahs, and this helps us in identifying the Quranic meanings and purposes.

Keywords: Elmunasaba, Coherence, Cohesion, the Coherence of the Quranic text, Surah Maryam